لجنة خلاص النفوس للنشر

سلسلة فتشوا الكتب (٢٨٩)

التكوين ونظرية التطور



تأليف: د. ديهان

ترجمة: أ. د. ميشيل عوض

التكوين ونظرية التطور

تأليف

د. ديهان

ترجمة

أ.د. ميشيل عوض

نوفمبر ٢٠٠٦



اسم الكتاب : **التكوين ونظرية التطور**

بقلم: **د. ديهسان**

ترجمة: **أ. د. ميشيل عوض**

المطبعة: **مطبعة الخلاص**

يطلب من : **لجنة خلاص النفوس للنشر**

١٢ شارع قطة ـ شبرا مصر

ت : ٥٧٧٢٥٢٦ _ ٥٧٦٤٢٠٠

فاكس : ٥٧٧٧٧٨٧ (٢٠٢)

بريد إلكترونى : lgnt_elnshr@yahoo.com



صفحة

تقديم المعرب

قد يظن القارىء أن هذا الكتاب كتاب علمي من الطراز الأول ويعزف عن قراءته، لكن في الحقيقة هذا كتاب روحي يحلل ويبحث في دقائق الأمور الروحية والعلمية. لقد قرأت هذا الكتاب قبل ترجمته وأعجبني أسلوب النقد المقارن بين العلم وكلمة الله، بين نظريات العلم الحديثة وبين أقوال الله الصادقة في كتابه الذي يحتوى على جميع مفردات العلم بكل فروعه، ويؤكد المؤلف بحسب فكره اللاهوتي الثاقب وكطبيب على حقيقة الخليقة التي خلقها الله من البدء وإعادة الحياة إلى الأرض الخربة وإعمار الأرض في أيام الخليقة الستة، ويدحض الكاتب بالأدلة والبراهين الكتابية نظرية النشوء والارتقاء والتطور التي تُرجع أصل الإنسان إلى القرد!

ويضع الكاتب مقارنة حقيقية بين الخليقة المادية القديمة في (تك ١) وبين خليقة الله الجديدة في المسيح يسوع، كما يركز على خطة الله لفداء الإنسان وخلاصه، ولا ينسى الكاتب في مجمل هذا الكتاب أن يقدم رسالة الخلاص للخطاة، ونمو المؤمن في النعمة ليكون مثمراً وشاهداً للرب ومنتصراً في هذا العالم.

إنه كتاب جدير بالاهتمام ويستحق القراءة بدقة لنرى هدف الله من خليقته وتكذيب كل الافتراءات الموجهة ضد الكتاب المقدس وتدبير الله الأزلى لخلاص الخاطىء وإعادته بالإيمان إلى مكانته الأولى ليس إنساناً في جنة عدن بل مشابهاً لصورة الرب يسوع المسيح.

أصلى أن يبارك الرب القارىء العزيز ويستخدم هذا الكتاب لتصحيح مفاهيم كثيرة أدت إلى الخلط بين الكلمة والإيمان وليكن هذا الكتاب بركة للجميع.

د. ميشيل عوض

الفصل الأول

في البـــدء

"في البدء خلق الله السموات والأرض" (تك ١:١)

هذه الآية هي جواب الله الأول والأخير للإنسان الذى يتطلع إلى معرفة أصل الكون ويتطلع في عطش للمعرفة والبحث، هذا العطش الفطرى أو الغريزى موجود في النفس قبل أن تخطىء، وربما يجمع الإنسان بين الخطية والمعرفة، والعطش نحو المعرفة هو رغبة الإنسان في النظر والفهم وهى الأساس في كل نمو وتقدم ومداومة للبحث. والإنسان لا يكتفى بما يعرفه ولكنه يثابر ويستمر في البحث والتنقيب والتحليل وإجراء التجارب حتى يجد إجابة عن لماذا وكيف توجد هذه الأشياء، وهذا هو فضول الإنسان ورغبته الأكيدة للمعرفة؛ وقاده ذلك إلى الحفر في أعماق الأرض والغوص في أعماق البحر والتطلع إلى احتلال الفضاء الخارجى؛ وهذا الفضول يؤدى بالإنسان إلى معرفة ما هو فوق طاقته ويرغب في معرفة الأشياء المغلق عليها والتى يصعب

الوصول إليها، ويتساءل لماذا لا أعرف ما هو بعيد هناك؟ وحتى الأطفال يتساءلون كيف تعمل الساعة؟ والطفل يسأل والده «أبى من أين جئت أنا؟». والخطر من المعرفة أن يذهب الإنسان بفضوله إلى مخاطر كثيرة في حياته، وكم من أموال أنفقت وحيوانات هلكت بسبب هذا الفضول خاصة عندما يقوده فضوله لمعرفة كل ما هو جديد حتى ولو أصبح هذا ضرراً وعدواً للإنسانية وقد يصبح هذا الفضول فخاً لتحطيم الإنسان نفسه.

الميل إلى الخطية

من بداية تاريخ البشرية انحرف الإنسان ومال إلى الفضول الذى أصبح متأصلاً في حياته، فقد كان الفضول وحب الاستطلاع سببين مباشرين لسقوط الإنسان في الخطية، وقد استغل الشيطان رغبة الإنسان في المعرفة وفتح لحواء باب الإغراء والفضولية وقال لها «أحقاً قال اللّه أن لا تأكلا من كل شجر الجنة» (تك ٣:١)؛ وأدركت حواء بوجود شيء غامض في هذه الشجرة فأرادت معرفته، ولماذا منعهما اللّه من الأكل من هذه الشجرة؟ ولماذا كانت هذه الشجرة بعيدة عن رغبتهما؟ إن الشجرة جميلة وجيدة للنظر وثمارها شهية ولذيذة للأكل (تك ٣:٦)، لكن لماذا كانت

هذه الشجرة محرمة وممنوع الاقتراب إليها ؟ هذه الأسئلة أرادت حواء أن تعرف إجابتها، ونجح الشيطان عندما قال «لأن اللّه عارف أن يوم تأكلان منها تنفتح أعينكما وتكونان كاللّه عارفين الخير والشر» (تك ٣ : ٥).

الإنسان الطبيعي له هذه الحالة نفسها

لم يتغير الإنسان منذ أن سقط حتى الآن. لقد تكلم اللّه وتوقع أن الإنسان يؤمن به ويقبل كلمته بالإيمان. إن اللّه غير ملتزم أن يفسر لماذا وكيف تكون أقواله وكان يتوقع من الإنسان أن يؤمن بها. هذا واضح في الآية الأولى من كلمة اللّه «في البدء خلق اللّه السموات والأرض» (تك ١ : ١). هذه الكلمات غير مفهومة ويجب أن تُقبل بالإيمان؛ وهذا واضح في الرسالة إلى العبرانيين «بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة اللّه حتى لم يتكون ما يُرى مما هو ظاهر (عب ١١ : ٣). الإنسان دائماً يريد النتائج ويريد أن اللّه يفسر له خطته تماماً وكيف عمل ذلك. إنها آية بسيطة وهي كلمة اللّه الأخيرة لأصل الكون، ولكن فضول الإنسان جعله يلجأ إلى النظريات الكثيرة لمعرفة أصل الكون وأعلن عن نظريات التطور حتى يُبعد اللّه عن خلق هذا العالم،

وهو بالضبط ما حدث في جنة عدن عندما قالت حواء «هل نصدق كلمة اللّه أو نفكر في العلم والمعرفة؟

واحد أو الآخر

الآية الافتتاحية للكتاب المقدس هى اختبار حقيقى للإيمان بباقي الأسفار الكتابية. والسؤال القائم هو: هل هذه الجملة تؤخذ حرفياً عن الخليقة أم هى رمز محدد ؟ وهل تتكلم الآية عن حقيقة الخليقة أو عن قصة خيالية ورواية وهمية؟ ثم تتتابع الأسئلة عن الموت والخطية والجحيم والفداء والسماء. وبذلك تدخل النظريات الحديثة للتطور في صراع مباشر مع الكتاب المقدس. وقبل أن ندخل في هذا الصراع يجب أولاً أن نعرف ونحدد التطور وأفكاره المختلفة. وفي المفهوم الواسع فإن التطور يعترف بحدوث عمليات عضوية وتغييرات في الچينات أحدثت تطوراً للنباتات والحيوانات، وأول مَنْ نادى بهذا التطور هو العالم اليونانى أرسطو طاليس في القرن الرابع قبل الميلاد حيث قال إن شكل الحياة الطبيعية كان بالخلق الذاتى، وهذه النظرية أصبحت الآن مهجورة بواسطة نظريات التطور الحديثة التى تدَّعى أن الوراثة الحيوية ضرورية لتكاثر الحياة.

نوعان من التطور

يوجد نوعان لنظرية التطور هما تطور إلحادى وتطور إيمانى. والنوعان ليس لهما علاقة بالوحي أو معرفة الله، والتطور الإلحادى يعتقد أن المادة أبدية خالدة لأنها تنتج من قوى وراثية وذكاء خارق، أما التطور الإيمانى فيعترف بوجود قوة على مستوى عالٍ من الذكاء خلقت مادة الكون التى تتطور وتتحسن فيما بعد، وهذه القوة الذكية ربما تكون إنساناً أو لا إنسان، والتطور الإيمانى يمكن أن يكون أكثر دقة من التطور الإلحادى، لأنه يعترف بطريقة غير مباشرة بالله الذى خلق الأنواع ثم تركها للنشوء والإرتقاء. ويا للأسف فإن التطور الإيمانى خلط بين الله والمادة.

أما قصة الكتاب المقدس عن الخلق فهى تؤكد عدم وجود تطور من المادة الأقل إلى المادة الأعلى، لأن الكتاب المقدس يقول إن الإنسان خُلق ولم يتطور بواسطة عمليات منفصلة لأن الإنسان هو تاج الخليقة، ويسجل الكتاب أن الخليقة خُلقت في زمن ثابت ولم تتطور هذه الخليقة مع تغير الأزمنة، ونحن لا نتشاجر مع العلم ولا سيما العلم الحقيقى ولا اعتراض على التطور

لتحسين النباتات والحيوانات إذا كان في حدود الإعلان الكتابى، وغالباً نقول إن العلم لا يعلم وتحدث منازعة بين العلم والكتاب المقدس، لكن يبقى الكتاب صادقاً لأن اللّه هو مؤلف الكتاب المقدس بل اللّه هو مصدر العلم الحقيقى وواضع القوانين العلمية ومجسد كل الظواهر الطبيعية.

الكتاب المقدس هو مصدر العلم

نحن نكرر عدم وجود صراع أو تعارض بين التفسير الصحيح للكتاب المقدس والعلم الحقيقي، ومَنْ يدعى بوجود تعارض بين الكتاب المقدس والحقائق العلمية يبرهن على أن التفسير الكتابى خاطىء بل على وجود متناقضات في محتوى الكتاب المقدس، وكل نظرية علمية لها أدلة وبراهين تعتبر وصمة عار على جبين العلم وهى نظرية وهمية وغير علمية، لذا نرى أن اللاهوت والعلم الحقيقى يعانيان كثيراً من التعصب الشخصى ومن الأيادى التى تزيف الحقائق لعدم المقدرة على إثبات الحقيقة.

إن الدارسين الأوفياء للكتاب المقدس يدافعون عن النزاع القائم والصراع الدائر بين الكتاب المقدس والعلم ويعتقدون أن الكتاب المقدس هو كتاب لاهوتى وليس كتاباً علمياً، وهو كتاب

يتحدث عن الفداء وليس عن العلم، هو كتاب الخلاص وليس كتاب العلوم، لكن يجب أن لا نتجاهل الآيات العلمية في الكتاب؛ وإذا أخطأنا في فهم هذه الآيات فليس معنى ذلك أن الكتاب المقدس لا يتكلم عن العلم ولكن المحاولة لعدم الفهم الصحيح وضآلة وشح الفكر يحرف الكتاب المقدس. اللّه هو مؤلف الكتاب المقدس المعصوم من الخطأ وإن لم يكن الكتاب المقدس كتاباً علمياً صحيحاً فإن مؤلف الكتاب لا يكون عالماً. الكتاب المقدس هو إعلان اللّه الذى له السيادة والسلطان المنزه عن الكذب والمعصوم من الخطأ والذى لا يتغير، وعندما نقول إن هذا الخالق ليس عالماً ولا يفهم الظواهر الطبيعية يجب الاعتذار عن هذا الجهل. ليتك تفكر جيداً عندما تسمع أحد الأصدقاء يقول لك «دافع عن الكتاب المقدس بأمانة وإخلاص وتذكر أنه كتاب الفداء وليس كتاب العلم.

نحن نجزم أن الكتاب المقدس يحوى الدقة العلمية، ولكن يتطاول المعارض فيقول «اللّه خلق النجوم ولكنه لا يعرف علم الفلك. خلقَ اللّه المادة من العدم ولكنه لا يعرف طبيعتها وخلق الحياة ولكنه لا يعرف علم الأحياء، خلق العناصر ولكن ليس له سيادة على الكيمياء، يتكلم عن النجوم ولكن لا يتحدث عن

حبيبات الملح». يا للحماقة! عندما يضيف الجاهل أن اللّه خلق الأرض لكنه لا يعرف الجيولوچيا وكوّن السماء، ولكنه يجهل هندسة علم الفلك، وخلق الذرة لكنه لا يعرف طبيعة النواة.

أمام هذه الأسئلة نؤكد أن اللّه هو الوحيد الذى خلق العالم ويحكم العالم. والكتاب المقدس هو إعلان اللّه المطلق وهو كتاب كل العلم وأفرع العلوم المختلفة، الفلك، الطبيعة، الأحياء، الكيمياء، الچيولوچيا، الرياضة، الميكانيكا والفسيولوچيا؛ وقد تحدث عن هذه العلوم بنفس السيادة والعصمة الإلهية ولا توجد آية غير حقيقية والعلم الحقيقى لا يستطيع نقد كلمة اللّه بل العلم الحقيقى يؤكد صحة الكتاب المقدس.

الكتاب المقدس ليس في حاجة إلى دفاعات سطحية لأنه يقف على أرض صلبة، وإن كان العلم يبحث عن الظواهر الطبيعية وأصل الكون فإن الكتاب المقدس يعلن أن اللّه هو خالق الكون والآية الأولى من سفر التكوين تدحض وتكذب كل المناهضين للكتاب المقدس، لأنها تؤكد أن اللّه في البدء خلق السموات والأرض ونحن نؤمن إيماناً مطلقاً بصحة هذه الآية، لأن كلمة اللّه تقول «كلمتك يارب مثبتة في السموات» وإن كنا

نؤمن بحقيقة افتتاحية الكتاب سنؤمن أيضاً بأن رسالة الكتاب هى «الخلاص بالإيمان»، ويكون الكتاب المقدس أيضاً هو كتاب الفداء والخلاص بالإيمان بكلمة اللّه ولا يوجد طريق آخر للخلاص غير الإيمان، والإيمان هو الوسيلة الوحيدة للرد على كل الاعتراضات كما قال يوحنا «إن كنا نقبل شهادة الناس فشهادة اللّه أعظم لأن هذه هى شهادة اللّه التى قد شهد بها عن ابنه. مَنْ يؤمن بابن اللّه فعنده الشهادة في نفسه. مَنْ لا يصدق اللّه فقد جعله كاذباً لأنه لم يؤمن بالشهادة التى قد شهد بها اللّه عن ابنه (١يو ٥:٩، ١٠). وكما هو مكتوب «الذى يأتى إلى اللّه يؤمن بأنه موجود وأنه يجازى الذين يطلبونه» (عب ١١:٦).

الفصل الثانى

كلمة الله الأولى والأخيرة

"في البـــدء ....." (تك ١:١)

في البدء، هكذا يبدأ الكتاب المقدس كتاب العجائب والمعجزات حيث يضع مؤلفه في الصدارة ويسرد أحداثاً لا نزاع في أصلها اللاهوتى ووحيها المقدس، ويكتب بالخط البارز العريض «في البدء خلق الله». وكلمة في البدء مأخوذة من الكلمة العبرية «برشيث» وقد كانت اللغة العبرية هى لغة العهد القديم وقد ترجمت المدرسة السبعينية الكتاب المقدس إلى اللغة اليونانية فأطلقت على كلمة «برشيث» كلمة Genisis وهى تعنى البدء أو التكوين وهى ترجمة حقيقية لكلمة «برشيث» العبرية. وقد أطلق على سفر التكوين اسم سفر البدايات لأنه يكتب عن أصل الكون وخلق الأرض والحياة عليها والفضاء الخارجي والسماء والأجسام المحيطة بها وطبيعة الكون وظواهره. والكتاب المقدس لا يسجل بداية خلق المادة فقط لكنه إعلان عن غرض الله للفداء والخلاص في الخليقة الجديدة.

إن سفر التكوين هو البذرة الأساسية لباقى الأسفار المقدسة، وهو ليس تعليماً منفرداً عن باقى أسفار الكتاب، بل إعلان الحق كقاعدة أساسية لباقى أسفار التوراة الخمسة، وتعتبر الأصحاحات الثلاثة الأولى من سفر التكوين أساساً لكل تعليم في باقى الأسفار والتى تبدو بصورة مصغرة في هذه الأصحاحات الثلاثة.

أهم عدد

العدد الأول من سفر التكوين يعتبر أهم عدد في هذا السفر، ففى هذا العدد يتحدد الإيمان والإلحاد. وهذا العدد هو مدخل لباقى أسفار الكتاب المقدس، وإذا استطعت أن تؤمن بأنه في البدء خلق اللّه السموات والأرض لا تجد صعوبة في باقى أسفار الكتاب، فإذا آمنت أن اللّه موجود قبل البدء وهو خلق العالم كله، الأرض والسماء من أقل ذرة إلى أعظم نجم يبعد عن الأرض بملايين السنوات الضوئية، تستطيع أن تؤمن أيضاً أن اللّه خلق الكل بكلمة بسيطة، وحول الماء إلى دم وأرسل المن من السماء ومشى على المياه وأقام الموتى وأخرج الشياطين وشفى المرضى وطهر الأبرص وأوقف الشمس في كبد السماء، وقام من الأموات! لكن إن رفضت بداية الكتاب المقدس والتى تقول «في البدء خلق

اللّه» فإنك لا تستطيع أن تؤمن بمحتويات الكتاب المقدس وتعتبره كتاباً يبدأ بجملة خاطئة.

لا اعتذار

اللّه لا يعتذر عن قوله «في البدء خلق اللّه» وهو لا يفسر لنا عمله وصنيعه، ولك أن تقبل أو ترفض هذا الإعلان، فإذا كنت حكيماً سوف تؤمن، وعندما ترفض فأنت تسلك مسلك الجهال. وإذا قبلت ذلك ستؤمن بأصل الإنسان. إن العلم يسمى كل قرد بأنه أصل الجنس البشرى «انثروبولوچي» ولكن هذه القرود متباينة ومختلفة، أما أصل الإنسان هو جنس محدد، ولتحديد أصل الإنسان ظهرت نظريات علمية متعددة مثل أصل الكون، الخلية الأصلية، نظرية التمييز، ونظرية النشوء والارتقاء (التطور)، لقد أراد الإنسان أن يعرف بداية الكون والأرض ومكوناتها، فكانت له مئات النظريات والدراسات العلمية وقد كتبوا مجلدات كثيرة وعندما وجد عَالِم عظمة لفيل، وآخر وجد سن إنسان، وثالث وجد سن قرد، وهيكلاً عظمياً للإنسان، ووضعت هذه العظام والمجلدات في متحف يسمى تاريخ ما قبل الإنسان، وطلب العلماء من الإنسان أن يؤمن بأن هذه هى عظام أجدادنا.

الإنسان يخمن ويظن

قارن الأصل العبرى «برشيث بارا ألوهيم» أى في البدء خلق الله ومع تضارب النظريان العلميـة عن أصل الكون وتطور الإنسان لعلك تحكم بشعورك وإحساسك الطبيعي أيهما أكثر منطق وحقيقة: الله الذى خلق كل شيء في البدء أو التطور الذى يقول في البدء كانت توجد كتلة معتمة وهى الخلية الأولية ثم انقسمت هذه الخلية إلى خليتين ثم إلى أربع خلايا ثم ثمانى خلايا، ١٦، ٣٢، ٦٤ خلية... وهكذا ومن هذا الانقسام ظهر الكون بالتطور! انتظر لحظة لنرجع إلى الخلف ونتساءل من أين أتت الخلية الأولى؟ ستقول إنها كانت موجودة دائماً ولكن هل كانت الخلية الأصلية بدون مخ وذكاء، أم كان لها مخ وذكاء حتى أنها تطورت إلى إنسان؟ قارن الفرق بين بساطة كلمة الله التى تقول «في البدء خلق الله» وبين أفكار العلماء الباطلة؛ بين بساطة الإعلان الإلهى وتكاثر المادة الحية البروتوبلازم؛ قارن التطور مع قدرة الإله القدير الأزلى الأبدى؛ فكر عشرات المرات قبل أن تؤمن بالتطور وقارن بين «في البدء خلق الله» وبين النظريات العلمية التى تقول إن الكون خُلق بدون شخص ومن

خلية واحدة وتذكر ما قاله داود «قال الجاهل في قلبه ليس إله» (مز ١٤٠: ١).

لا خلاص بدون اللّه

يعتمد الخلاص مبدئياً على الإيمان بما جاء في (تك ١: ١) «في البدء خلق اللّه» وأيضاً على ما كُتب في (يو ٣: ١٦ ، رو ١٠: ١٣ ، أع ١٦: ٣١)، ولو كان (تك ١: ١) كذباً، فإن باقى الكتاب المقدس سيكون أيضاً كاذباً لأن البداية ستكون كاذبة وإذا رفض الإنسان (تك ١: ١) يجعل اللّه كاذباً، ورغم وجود المتناقضات عن خلق السماء والأرض والجحيم بين مؤيد ومعارض فإن الإيمان بافتتاحية سفر التكوين يعتمد عليه الإيمان بالفداء والخلاص، لذا ينبغى أن نصدق بأن اللّه هو الخالق حتى نؤمن بما قاله الرب يسوع «هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته» (يو ١٧: ٣).

الكتاب المقدس فقط من بين جميع الكتب هو الذى يفتتح بالقول «في البدء خلق اللّه» والذى يخبر عن البدء يجب أن يكون قبل البدء. الإنسان لا يستطيع أن يبدأ البداية ولكنه دائماً يبدأ بالنهاية ويعود إلى الخلف، والعلماء اجتهدوا وبحثوا عن التطور

والتقدم والارتقاء، لكنهم لم يتوصلوا إلى البداية الحقيقية لكل مظاهر الحياة. ولكن اللّه في البدء خلق السموات والأرض، وخلق كل شيء على الأرض في أيام الخليقة الستة المحددة في كلمة اللّه. فلو كان اللّه يتبع نظام التطور وظهرت الحيوانات أولاً على الأرض لكانت ستبقى بدون طعام، وفي اليوم الرابع خلق الأجرام السماوية الشمس والقمر والنجوم وبعد هذا اليوم الكامل انفصلت حياة النباتات عن الحياة الحيوانية، واستأنف اللّه عمله فخلق الأسماك في البحار وطيور السماء ثم خلق اللّه الإنسان على رأس هذه الخليقة ولا يوجد تطور طبيعي للنباتات إلى الأسماك والأسماك إلى طيور والطيور إلى قرد والقرد إلى إنسان.

مظاهر التطور

لم يحدث تطور تدريجي بين الأجناس، وأخطأ العلم الحديث عندما لم يدرك أن تأثير العوامل البيئية مثل الظروف الجوية والمناخ والطعام والأحوال الطبيعية أحدثت تغييرات كبيرة في النباتات والحيوانات داخل الجنس الواحد، وكمثال واضح على ذلك، توجد في العالم أنواع كثيرة لأشجار البلوط وكل هذه السلالات لها ثمرة واحدة وبذرة واحدة، وخلال تغير الأجيال

ونتيجة لتأثير التربة والأملاح المعدنية والأمطار والحرارة والمناخ والعوامل الوراثية استطاعت هذه الأشجار أن تتأقلم مع متغيرات العوامل البيئية والوراثية، فتأثر حجم الثمرة، ولون بعض الثمار، وتغير طعم الثمرة بين مر وحلو. ورغم كل هذه التغييرات، فإن كل أشجار البلوط لا تنتج إلا ثمرة واحدة، وبمثل أشجار البلوط ظهرت أنواع كثيرة للتفاح نتيجة التلقيح والتهجين، ولم يستطع الإنسان الحديث بكل علومه أن ينتج برتقالاً على شجرة التفاح، لأن كل هذه التغييرات تحدث داخل الأنواع المحددة، وهذه طبقاً لكلمة الله حيث قال لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمر كجنسه» (تك ١:١١، ١٢) فخلق الله النباتات والطيور والحيوانات كأجناسها ولا يوجد تداخل بين هذه الأجناس وإلا ما بقيت أصول هذه الأجناس حتى الآن.

وبتطبيق حقيقة ثبات الأجناس على الإنسان نرى أن آدم ولد أولاداً كجنسه وهم أولاد طبيعيون وولدوا من آدم بالطبيعة خطاة، لأن الطبيعة القديمة والطبيعة الأدبية والوراثية توارثتها الأجيال المتعاقبة، ولو كانت قوانين التطور صحيحة لاستمر الإنسان الخاطيء في تطوره حتى يصبح قديساً، لكن هذا

مستحيل لأن الرب يسوع قال «المولود من الجسد جسد هو» (يو ٣:٦). القط لا يمكن أن يكون كلباً، والحصان لا يصبح عجلاً، ويبقى الدجاج لا يُفرخ بطاً ولا تلد الخنازير حملاناً والأجساد لا تصبح أرواحاً وآدم القديم لا يتطور إلى إنسان جديد، ولكنه يحتاج إلى الولادة الثانية من فوق كما قال الرب «ينبغي أن تولد ثانية». هذه كلمة اللّه الصادقة لكل إنسان خاطىء كما قال الرب يسوع عن نفسه «الذى يؤمن به لا يُدان والذى لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن اللّه الوحيد» (يو ٣:١٨).

الفصل الثالث

سلطـــان الخطيــة

"في البدء خلق اللّه السموات والأرض" (تك ١:١)

"إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت وهوذا الكل قد صار جديداً" (٢كو ١٧:٥)

في البدء خلق اللّه كل شيء حسنٌ بل حسناً جداً. في العدد الأول من (تك ١) نرى خلق اللّه الكامل للسموات والأرض وبالتالى فإن كل ما عمله اللّه في أيام الخلق كان عملاً تاماً بلا عيب، وقد أعاد اللّه للخليقة مكانتها بعد أن كانت الأرض مدمرة وفي صورة هيولية غامضة بلا تنظيم، ربما نتيجة طوفان عظيم فأصبحت الأرض كما قيل عنها «كانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة» (تك ١ :٢). وكلمة خربة تشير إلى أن الأرض كانت بلا شكل وخالية، ولم تكن الأرض بتلك الحالة عندما خُلقت في البدء لأنها لم تُخلق باطلاً وبلا قيمة كما

قال إشعياء «... مصور الأرض وصانعها. هو قررها. لم يخلقها باطلاً. للسكن صورها» (إش ٤٥:١٨). وكلمة باطلاً vain تترجم بالعبرية «توهو tohoo» بمعنى بلا سبب لأن اللّه خلق الأرض للسكن ويتفق (إشعياء ٤٥:١٨) مع (تك ١) حيث إن كل الخلائق خُلقت ووجدت على الأرض سواء على اليابسة أو في البحار أو في الغلاف الخارجي للأرض. والعدد الثاني من (تك ١) يشير إلى حالة الأرض التي غطاها الظلام فأصبحت خربة وخالية نتيجة الخطية التي جلبت اللعنة على الأرض. حاشا للّه أن يكون سبباً للخطية، كما أن الإنسان لم يكن قد خُلق بعد، ولكن قبل الإنسان خُلقت الملائكة، ومن بين هؤلاء الملائكة وجد لوسيفر رئيس الملائكة الجميل والساطع ذو القوة العظيمة، وقد تمرد لوسيفر على اللّه وسقط من السماء ومع ملائكته وصارت شياطين ووضعت الأرض تحت اللعنة وقد سجل لنا الكتاب المقدس هذا السقوط الشيطاني في سفر إشعياء (١٤:١٢ ـ ١٧).

ذلك هو أعظم حدث علمي قبل تاريخ الخليقة على الأرض. إنه اختبار جيولوچي لسطح الأرض أنتج فضاءً معتماً بعد ازدهار

وخضرة الأرض وقبل تاريخ الحيوانات العملاقة حيث ظهر التباين والاختلافات بين أنواع وأجناس الخليقة المعروفة الآن. ونجد الآن حفريات ما قبل التاريخ لحيوانات عاشت مئات السنين ومناجم الفحم الناتج من ازدهار النباتات الإستوائية، والبترول الناتج من تراكم وتحلل المواد النباتية والحيوانية من ملايين السنين وتقول إحدى الشركات عن البترول إنه سائل رطب تكون منذ تسعة مليون سنة؛ وربما يصدق ذلك، لأن كل الأمجاد العلمية تشير إلى تلك الفترة التى تسمى فترة ما قبل التاريخ مع الحياة الأولية للنبات والحيوان، ومن عدة سنوات رفض بعض اللاهوتيين تلك المقترحات التى أشارت إلى الحياة قبل التاريخ، ولكن لنأخذ في الاعتبار أن خليقة اللّه كانت جميلة ومزهرة وبديعة، وما قبل التاريخ على الأرض كان لوسيفر رئيس الملائكة له مكانة في السماء وكان يسكن في جنة عدن كما يقول حزقيال (حز ٢٨:١٣ ـ ١٥).

هذا سجل اللّه عن لوسيفر الذى كان في جنة عدن مع أن جغرافية ومكان جنة عدن قبل التاريخ غير معروف حتى الآن. وأخطأ لوسيفر وسقط وطُرد من محضر اللّه وطُرح إلى الأرض ووضع في طبقات الجلد بين الأرض والسماء وهو رئيس سلطان الهواء ومقره هو الغلاف الجوى فوق الأرض.

لعنة الأرض

نحن لا نعرف الفترة التى عاشت فيها الأرض خربة وخالية ومظلمة نتيجة لسقوط لوسيفر على أرض ما قبل التاريخ، ربما تحسب هذه الفترة بمئات الملايين من السنين، ودراسة قشرة الأرض تظهر طبقات مختلفة تشير إلى حدوث طوفان عظيم اجتاح الأرض في تاريخ غير معروف في الماضى. وسجل الكتاب المقدس يتفق تماماً مع هذا الحدث ومع العلم الحديث عندما يتكلم عن حالة الأرض القديمة. ونتيجة للعنة الهائلة التى أحلت بالأرض صارت الأرض خربة وبلا شكل ولا تصلح لشىء وتغط في ظلام دامس نتيجة غياب اللّه عن الأرض وتغطت الأرض بالمياه وهذه الحقيقة يعترف بها العلم.

حقبة الثلج العظيم

بالرجوع إلى عصر الجليد الذى يتكلم عنه العلماء، نجد أن كل الأرض تغطت بطبقة عظيمة من الثلج التى تحركت بانتظام إلى أسفل مكونة المحيطات والوديان حتى أصبحت جبالاً ثلجية عظيمة، والكتاب المقدس يلقى الضوء على هذه الحقائق الأكيدة لا تذكر البحار في (تك ١:١) ولكن في (تك ١:٢) يتكلم الكتاب عن تغطية الأرض بالمياه وفي هذه الفترة لم يكن نور

ولا شمس ولا حرارة والجليد يغطي سطح الأرض وبقيت الأرض في تلك الحالة فترة لا يمكن تحديدها حتى بدأ الله في خلق الخليقة الجديدة.

إعادة الخلق

بعد فترة الثلج المميت والظلام السحيق بدأ الله في العمل. لم تكن الأرض قادرة بذاتها على إعادة الحياة، ولكن هذه البداية كانت بروح الله الذى كتب عنه «وكان روح الله يرف على وجه المياه» (تك ١:٢). إن روح الله بدأ يرف على كتل الثلج المتراكمة، وكلمة يرف تعني التحرك والحركة مثل الطيور الراقدة علي البيض مولدة الحرارة والدفء، وبدفء الروح القدس بدأ الثلج في الانصهار، ولم يذكر الكتاب مدة هذه الفترة التى كان فيها روح الله يرف على وجه الغمر. وبعد هذا الصمت فتح الله فمه وتكلم وقال «ليكن نور» فاختفى الظلام وظهر النور معلناً إعادة الله لخليقته. لقد كانت الحاجة ماسة لوجود الحياة والنور في أول أيام الخليقة ثم توالت الأيام الستة للخليقة حسب إرادة الله وحكمته. إن العلماء لم يجدوا في أبحاثهم بيانات تثبت أن الإنسان وجد على هذه الأرض أكثر من ستة آلاف سنة مضت، ولكن العلماء وجدوا بعض العظام أطلقوا عليها «إنسان

نيندرهال» أو غير ذلك من العظام وهى درب من دروب التصور والتخمين والخيال العلمى.

التطور

تقول نظرية التطور إن حدثاً عظيماً أدى إلى تطور الأرض وهذا الحدث مازال مخفياً عنا، فقد كانت على الأرض مياه كثيرة ثم انحسرت وظهرت الأرض اليابسة ثم ظهرت الحياة النباتية الأولية على الماء، وبدأ ظهور الأشجار والطيور والأسماك والزواحف والثدييات وأخيراً ظهر الإنسان. والعلماء لا يعرفون كيف ظهرت الأرض والمخلوقات التى عليها لأنهم لم يؤمنوا بالأصحاح الأول من سفر التكوين الذى لا نقرأ فيه عن التطور بل عن اللّه المقتدر الذى خلق الخليقة بقدرته، ومنذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد خلق اللّه هذا العالم وما عليه وذكرها الكتاب على النحو التالى:

١ ـ اليوم الأول : النور.

٢ ـ اليوم الثانى : انفصال المياه.

٣ ـ اليوم الثالث : الحياة النباتية.

٤ ـ اليوم الرابع : الشمس والقمر والنجوم.

٥ ـ اليوم الخامس : الطيور والأسماك.

٦ ـ اليوم السادس : الثدييات والإنسان.

٧ ـ اليوم السابع : راحة الله.

الخليقة الروحية

كل هذه المقدمة تفسر لنا الغرض الحقيقي من الخليقة القديمة التى تشير إلى خطة الله للخلاص وخلق خليقة جديدة. إن الله خلق الإنسان حسناً في صورة الله وعندما جاءت الخطية سقط الإنسان وأصبح تحت اللعنة والدينونة، وأصبحت حياته ظلاماً وينتظره ظلام أبدي وأصبح ضميره كالثلج وليس في مقدوره خلاص نفسه، عندئذ بدأ الله في إعلان الفداء والخلاص بواسطة عمل روح الله كما في (تك ١:٣). وقال الله «ليكن نور» فتبدد الظلام وظهر نور كلمة الله وخلاصه، وهذا الأمر يتوقف على تجاوب الخاطىء مع تبكيت روح الله فيحدث التغيير ويصبح الخاطىء خليقة جديدة ثم يتبع ذلك النمو في النعمة حتى يصبح في حالة كاملة في اليوم السابع، لذا فإن قصة الخلق تكون متوازية مع خليقة المسيح الجديدة التى قال عنها بولس «إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة» (٢كو ١٧:٥). هذه الخليقة هى عمل الله وتبدأ بالإيمان بكلمة الله.

الفصل الرابع

اللّه يعيد الخليقة

"وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح اللّه يرف على وجه الغمر. وقال اللّه ليكن نور فكان نور. ورأى اللّه أن النور حسن" (تك ١:٢ ـ ٥).

"إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً" (٢كو ١٧:٥).

اللّه أكثر اهتماماً بمستقبل الإنسان وأبديته أكثر من الاهتمام بأصل الإنسان وتاريخه وماضيه. وإذا كان العدد الأول من التكوين يسجل أصل الكون فإن الأعداد التى تليه تتكلم عن حاجة الإنسان إلى كلمة اللّه القادرة على خلاصه من الخطية. وأن اللّه فقط هو القادر على تغيير حياة الإنسان رغم جهل الإنسان وابتعاده عن اللّه.

الخطية أفسدت الإنسان

تجاهل الإنسان حقيقة وجود الخطية التى خدعت وأفسدت

تفكيره ولم يهتم بمستقبله ومصيره الأبدى، لكنه انشغل بسؤال واحد فقط «من أين أتيت؟» ولذلك حفر في الأرض وبحث عن الحفريات وكرس مجهوده لعلم الچيولوچيا ليعرف متى نشأت الأرض وما هو أصل الإنسان وهل أصل الإنسان من القرود التى تتسلق الأشجار أو القرد الشبيه بالإنسان مثل الشامبانزى والغوريلا، يا للحماقة! لقد أصبحت قصة التطور أكثر حقارة لأنها تبحث لأنها تبحث عن ماضى الإنسان ولا تهتم بمستقبله أو إلى أين يذهب، والإنسان الطبيعى الذى أفسدته الخطية رفض الاهتمام بنفسه ولم يفكر في خطة اللّه لخلاص البشرية الساقطة، وكان على الإنسان أن يوجه نظره نحو اللّه الذى بادر بإعلان خطة الخلاص في الكتاب المقدس بكل حكمة وإذا لم يعرف الإنسان هذه الحقيقة فإنه يعيش في جهل شديد وحماقة عظيمة.

خطة الخلاص

توجد صورة واضحة في الفصل الأول من سفر التكوين عن أصل الخليقة وأيضاً خطة اللّه للخلاص، وكما أعاد اللّه الحياة على الأرض هكذا يستطيع اللّه أن يخلص الخاطىء ليكون في المسيح خليقة جديدة لأن إعادة الحياة للأرض الخربة هى صورة حية

ونموذج لخلاص الإنسان. وعندما نقبل حقيقة الخليقة الأولى سوف نقبل حرفية الخليقة الجديدة، وإذا كان الكتاب المقدس مخطئاً في الأصحاحات الثلاثة الأولى من التكوين فإن الكتاب يكون أخطأ في استراتيجية الشيطان ولعنة الله للخليقة وفي خطة الفداء التى صنعها في جنة عدن (تك ٣: ٢١). إن إنكار واقع التقدير الحرفى للخليقة يحطم حقيقة الخطية، والندم، والمرض، والموت، والكوارث، والخراب، والحروب وانحراف وفساد الإنسان الطبيعى، وكل ما سجله الكتاب المقدس عن الإنسان، والفداء وخلاص الله. ولو كانت الكتابات الأولية لسقوط الإنسان ولعنة الله للخليقة ثم فداء الله بواسطة دم الذبائح الحيوانية وكساء الإنسان بجلد الحيوان، هى سبب غير حقيقى، فإن موت المسيح على الصليب كذبيحة بديلة عن الإنسان تكون أيضاً غير حقيقية، وإن لم نؤمن أن الأصحاحات الثلاثة الأولى من سفر التكوين حقيقة حرفية، دعنا نترك الكتاب جانباً ونتعامل للأبد مع الكتب والنظريات التى تحتوى على الخرافات والأساطير القديمة.

كتاب العلم

الكتاب المقدس هو أكثر الكتب العلمية التى تتكلم عن

حقيقة العالم ومعرفة الكون، كما أن الكتاب هو أقدم كتاب يتحدث عن البدء وإعادة الحياة على الأرض من ستة آلاف سنة، فقد تكلم عن الخطية والفداء، وعلم التشريح، والأحياء، والطبيعة، والفلسفة، والفلك، والكيمياء، والرياضة والچيولوچيا وبقيت كلماته شامخة عبر آلاف السنين، وهو يبرهن عن العلم بطلاقة وبحقائق دامغة مائة بالمائة، ويدحض الكتاب كل الاتهامات والافتراءات الموجهة إليه تبعاً لكلمة اللّه القائلة «إلى الأبد يارب كلمتك مثبتة في السموات» (مز ١١٩:٨٩) وكما يقول الرسول بطرس «أما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد» (١بط ١:٢٥).

الأيام السبعة

يشهد الأصحاح الأول من التكوين عن بقاء وثبات كلمة اللّه المدونة في كتاب نقي وصحيح وكاملٍ، فقد كتبه موسى ودوَّن حقيقة الخليقة وخرابها بواسطة الشيطان، وأعاد اللّه الأرض إلى طبيعتها ليشغلها الإنسان الذى خُلق على صورة اللّه وشبهه. لم يكن موسى موجوداً عندما خلق اللّه النور والنباتات والكواكب والنجوم والأسماك والطيور، والحيوانات والإنسان، فكيف عرف

موسى هـذه الخليقـة وكتب عنهـا ؟ ولا توجد سوى إجابة واحدة وهي أن مـوسى كـتب عـن هذه الخليـقـة بالإعـلان الإلهى. ولكن يوجد كلام غير منطقي يقول إن موسى كتب الأصحاحات الثلاثة الأولى من التكوين بالتـقليـد وقـد تسلم ذلك من الآباء وهذا التـفسيـر ليس له أساس من الصحـة ويحتـاج إلى برهان أكيـد ودليل قـاطع؛ ولو كـان الأبناء تسلمـوا الحق من الآباء فـمن كـتب عن سجل الإنسـان قـبل مـوسى؟ مع مـلاحظة أن حـادثة الطوفـان حـــدثت بين الآباء الأولين وبين نوح وأولاده الذين دخلوا الفلك ونجوا مـن الطوفان، ولم يحدث خلل في كتابات موسى بـل سارت في خط مـسـتـقيم ولم يسـتخدم مـوسى القنوات المعوجة كمـا أن التـسليم من واحد لآخر لا يدون كـل الحقـائق الكتـابيـة ولا يقر بصحـة الكتـــاب المقـدس.

الله تكلم الكلمة

إن المسجل في سفر التكوين هو كلام الله المعصوم من الخطأ. لقد تكلم الله إلى موسى مرات عديدة، وفي (خر ٢٠:١) نقـرأ «وتكلم اللـه بجـمــيع هذه الـكلمـات قـائلاً أنا الرب إلهـك الذى أخـرجك مـن أرض مـصـر من بيت العـبـودية » وهذا إعـلان من

إعلانات الوحى تـكلم به الرب إلى موسى كمـا أوحى إليـه بأيام الخليقة السبعة، وقد خلق اللّه الإنسان آخر الخليقة حتى لا يتدخل الإنسـان في عـمل اللّه التـام، وكل مـا سجله الوحى عن الخليـقـة المادية يسير متـوازياً مع الخليـقة الجديدة في المسيح يسوع؛ ولا أحد يتـجاهل هذه الحقيقة وهذا التطبيق الروحى. كـما تكلم اللّه عن خطتـه للخـلاص من الخطيـة، وأول خطوة للخـلاص هى عـمل روح اللّه في قلب الخـاطىء ليـذيب جليـد القسـاوة وعناد القلب ويشرق بنوره الذى يبدد الظلام ثم يلى ذلك اليوم الثانى الذى فيه ينفصل المؤمن عن العالم ويثمر مثل نباتات وأشجار اليوم الثالث عندئذ يصبح المؤمن نوراً لهذا العالم منتصـراً كالطيـور التى تحلق في القضاء وكالأسـماك التى تسبح في المياه متحدياً قوة الجاذبية الأرضـيـة والجبال الشامخة ويتـخطى كل الحواجز والمعوقات التى تقف أمامه.

أما اليوم السـادس فيـتكلم عن الماشـية التى خُلقت للحمل والعمـل وتحمل المسئولية والإنتاج ثم ينتـهى بخلق الإنسان على صورة اللّه وكشبهـه، ثم يأتى يوم الراحة الذي كَمُل فيـه عمل اللّه وهو يـوم راحة وسلام. هذه هى قصة الخليـقة كما خلقها اللّه بل هى

قصة الخليقة الجديدة في المسيح فهل تريد أن يسطع عليك نور الرب فتخلُص؟ هل تريد التغيير الآن؟ هل حياتك حياة منفصلة عن العالم؟ هل عندك ثمر؟ وهل تشهد شهادة حقيقية عن يسوع؟ هل تعلمت الانتصار؟ هل تخدم الرب وتتحمل المسئولية وتعيش في سلام الله الذى يحفظ حياتك؟ أخيراً أكرر، هل بدأت حياتك مع المسيح؟ وإن كنت بدأت لماذا لا تريد أن تنمو نمواً روحياً مسيحياً؟ أصلى أن يساعدك الرب لتختبر الحياة الجديدة وتنمو إلى الكمال.

الفصل الخامس

العلم والكتاب المقدس

"في البدء خلق اللّه السموات والأرض" (تك ١:١)

في البدء! في البدء اللّه! لا يُعلى عليه، لا يتفوق عليه شيء، لا يوصف، ليس له نظير، بالقدرته الفائقة، وعظمة وسمو هذه الآية التى تتصدر الكتاب المقدس، هى صوت اللّه المميز والثابت والأعلى من صوت الأبدية. إنها جملة ذات سيادة مطلقة وسلطان وقوة «في البدء اللّه». هذه هى الكلمات الأولى والأخيرة التى تكلم بها اللّه ليعلن للإنسان أصله وأصل الكون ولا يوجد أعظم مما كُتب في مقدمة الكتاب. لكن الإنسان يريد أن يستبدل هذه المقدمة بفلسفة العلم ونظريات التطور التى ينكر بها عمل اللّه، ومهما حاول الإنسان فإن أقوال اللّه عن أصل الخليقة ستظل ثابتة وتشهد عن الزمن، وتجيب عن كل تساؤل بثقة وسلطان، وترد على أى هرطقات تحاول أن تُنقص أو تُقلل أو تُنكر كلمة اللّه، والبعض يحاول أن يسب أو يقبّح كلمة اللّه المقدسة، لكنها لا تسقط أبداً.

مفتاح كل الكتاب

إن الإعلان الإلهى الذى يبدأ بقول الرب «في البدء خلق الله» ليس فقط مقدمة لكل أسفار الكتاب المقدس، لكنه كتاب مقدس في صورة مصغرة تعلن دقة وحقيقة كلمة الله. ولأن هذه الافتتاحية صحيحة وحقيقية فإن كل الكتاب صادق وصحيح، وبالإيمان بهذه المقدمة نستطيع أن ندخل إلى محتويات الكتاب المقدس ولا نجد صعوبة للإيمان بكل الكتاب، ولكن الحقيقة التى يجب أن نؤمن بها هى أن الكتاب المقدس يتكلم عن نفسه لأنه إعلان الحق الإلهى المعصوم من الخطأ لأنه كلمة الله المثبتة في السموات.

الكتاب المقدس هو كلمة الله المعصومة والمكتوب كوحدة واحدة، وهو كتاب معجزى كُتب من آلاف السنين بلا تحريف أو تغيير أو تبديل أو تزييف. إنه فريد في بدايته وسيادته وصدقه لأن مؤلفه هو الله، ولأن الكتاب فريد في شخصيته ومعصوم فإنه يدافع عن نفسه ويرد على كل الاتهامات ولا يخشى المجادلة والنقاش، وله السيادة المطلقة للرد على كل تساؤل واستفسار، وهذا يجعل الكتاب المقدس أعظم كتاب

علمى تحت السموات، وأهم من هذا أنه يتكلم عن حقيقة الإنسان وخلاصه من الخطية، وإذا اعتبر البعض من المدافعين عن الكتاب المقدس أن الكتاب ليس كتاباً علمياً ولكنه كتاب الفداء والخلاص، فإن أولئك لم يدركوا أن الكتاب المقدس هو كتاب كل الكتب وله السلطان أن يتحدث عن كل شيء بدون خطأ ويعلن عن الخليقة بطريقة سهلة وبسيطة لأن اللّه الخالق يتكلم عن نفسه.

أسفار موسى الخمسة

إن الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس تتكلم عن الخليقة من أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، بل من بلايين السنين منذ أن خُلقت الأرض، وأعطى موسى وصفاً تفصيلياً لأصل الخليقة قبل الاكتشافات الحديثة والعلم الحديث، وفي هذه الأسفار تفسير منطقى لسؤال العلماء «من أين أتيت؟» وإن كنا لا نُدرك الزمن فإننا نجهل وجوده وإن كان لا يوجد زمن فبالتالى لا توجد خليقة لأن الخليقة مرتبطة بالزمن، لأن لكل شيء زماناً، وقبل البدء كانت الأزلية التى لا بداءة لها وفي الأزل كان اللّه الواحد بالأقانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس. في اللحظة المناسبة

تكلم اللّه وخلق البدء وفي البدء خلق السموات والأرض، وفي الوقت المناسب مد اللّه يده ليخلق كل شيء بقدرته الفائقة وخلق كل الأشياء من لا شيء وعمل الكون والكواكب والشموس ورتب الأبراج السماوية والكواكب والنجوم اللانهائية وسمى كل منها بأسماء وعلقها كثريّات زيّن بها السماء وجعلها تتراقص على أنغام وموسيقى دائرة الكون. إذا استطعت أن تؤمن بذلك فسوف تؤمن أن اللّه له القدرة أن يخلق الأسماك التى تبتلع الإنسان، وأن المسيح له القدرة أن يمشى على المياه، وأن الشمس تطيع أوامر اللّه وتقف في كبد السماء حتى ينتهى يشوع من حروبه، وأن اللّه قادر أن يفتح بحر سوف ويوقف مياه نهر الأردن تحت الأقدام، وهو نفسه اللّه القادر أن يحول الماء إلى دم ويرسل ناراً من السماء ويعطى خبزاً في البرية ويجعل الأتان تتكلم، وكل هذا يتوقف على إيمانك بالجملة البسيطة «في البدء خلق اللّه»!

قارن هذه العظمة والقدرة الإلهية بنظريات العلم الحديث الذى يقول إن في البدء كانت توجد الخلية الأصلية وهى بقعة شديدة الحرارة ثم تجمدت وأصبحت كتلة نصف صلبة للمادة، وبالتطور السريع انقسمت هذه الكتلة إلى كتل أخر، ثم كونت الشمس

والكواكب وباقى العالم، والبعض من الكواكب صار بارداً وصالحاً للسكنى والحياة مثل الأرض، والبعض بقى حاراً مثل الشمس والنجوم، والأرض تغطت بالطين وبعض الطين تطور إلى سلاحف، ثم ظهرت الزعانف وتطورت السلاحف إلى الأسماك، وتطورت الزعانف إلى أقدام وظهرت الزواحف، ثم ظهر الشعر والذيل وتطورت الزواحف إلى القرود، بعض من هذه القرود تسلق الأشجار، والبعض نزل إلى الأرض وتطور إلى إنسان!

نقطة الهجوم

قابَلت الأصحاحات الثلاثة الأولى من سفر التكوين هجوماً شديداً من المقاومين الذين لا يؤمنون بكلمة اللّه التى تتحدث عن الخليقة لأنهم لم يعرفوا أهمية الآية الافتتاحية للسفر، وقبَّحت نظرية التطور صورة الإنسان الذى خُلق على صورة اللّه وشبهه، وهاجمت الكتاب المقدس وحرّفت السجل البسيط للخليقة. وهناك سلسلة من المضاربات الماهرة تهاجم سيادة الكتاب المقدس وتتهكم ليس على موسى فقط بل على حقيقة وسيادة يسوع المسيح. وإذا كنا نؤمن أن موسى هو كاتب الأسفار الخمسة نؤمن أن يسوع المسيح هو ابن اللّه الكامل بلا خطية.

إن الرب يسوع اقتبس الكثير من كتابات موسى المدونة بالعهد القديم لأن المسيح علّم وشرح كتب موسى الصحيحة وقال «أما قرأتم في كتاب موسى في أمر العليقة كيف كلمه اللّه...» (مر ١٢:٢٦). وقد اقتبس يسوع هذه الكلمات عن موسى وهو يرى العليقة تشتعل (خر ٣:٦). وبعد قيامة يسوع من الأموات قال لتميذي عمواس.. ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء...» (لو ٢٤:٢٧). لقد اعترف التلاميذ بكتب موسى وقد قال فيلبس لنثنائيل «لقد وجدنا الذى كتب عنه موسى والأنبياء» (يو ١:٤٥) وقال يسوع «كما رفع موسى الحية في البرية...» (يو ٣:١٤، ١٥)، فإن كان سلطان موسى مشكوكاً فيه كذلك يكون الشك في سلطان المسيح. لكن انصت جيداً إلى كلمات الرب عن قوة كتابات موسى «فتشوا الكتب... لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عنى، فإن كنتم لستم تصدقون كُتب ذاك فكيف تصدقون كلامى» (يو ٥:٣٩، ٤٥ ـ ٤٧)؟

من أين حصل موسى على المعلومات؟

أيّد يسوع كتابات موسى واقتبس منها الكثير لأن الرب هو

صاحب الكلمة، وعندما نوافق على كتابات موسى نوافق أيضاً على كل الحقائق المدونة في أسفار التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية، ولا ندع فرصة لتكذيب هذه الأسفار والرد على الأسئلة التى تحاول تكذيبها ولكن يبقى السؤال القائل من أين حصل موسى على هذه المعلومات؟ لقد وُلد موسى بعد ألفى سنة من إعادة الحياة على الأرض (تك ١:٢ ـ ٣١). وولد بعد ٣٠٠ سنة من انتهاء أحداث سفر التكوين فمن أين حصل موسى على حقيقة العدد الأول من الكتاب المقدس وما يليه عن الخليقة؟

إن المتشككين والملحدين يقتنعون أن موسى لم يكتب سفر التكوين، والبعض يعتقد أن موسى تسلم هذه الأسفار من الأجيال السابقة، لكن يسوع وافق على كتابات موسى لأن موسى حصل على كل ما كتبه عن طريق الإعلان المباشر من اللّه كما تقرأ «إن اللّه تكلم إلى موسى» سواء تكلم اللّه بواسطة الصوت الواضح أو الرؤية أو بالأحلام أو بالكتابة (تث ٤:١٢، ١٣). وإن اختلفت الطريقة لكن الإعلان من اللّه لأن اللّه تكلم وعلى الإنسان أن يصدق أو لا يصدق، وإن كنت لا تؤمن أن اللّه في البدء خلق السموات والأرض لا تقدر أن تصدق ما قاله يسوع

«إن كان أحد لا يُولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت اللّه» (يو ٣:٣). والذى تكلم إلينا من البدء هو إله البدء وهو الكلمة الأزلى كما قال يوحنا في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند اللّه وكان الكلمة اللّه» (يو ١:١). وقال أيضاً «مَنْ يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى له حياة أبدية ولا يأتى إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة» (يو ٥:٢٤).

الفصل السادس

السيادة والسلطان

"في البدء خلق اللّه السموات والأرض" (تك ١:١)

من أين أتى الكون؟ ما هو أصل الكون؟ كم عمره؟ هل كانت له بداية؟ أسئلة كثيرة شغلت فكر الإنسان منذ فجر التاريخ، وهذه الأسئلة يمكن الرب عليها بطريقتين هما الخلق أو التطور، وكل منهما يختلف عن الآخر وليس بينهما ارتباط أو تداخل، وإن كان الاعتقاد بأن التطور حقيقة فإن الكتاب المقدس لا يُقبل حرفياً لأنه لا يوجد تطور تدريجى بين الأجناس المختلفة، ولم يتطور جنس إلى جنس آخر، لأن الكتاب يؤكد على حقيقة خلق الأجناس بطريقة فردية بواسطة العمل الإلهى وليس بالتطور (الموسوعة العالمية للكتاب المقدس مجلد ٢ ص ١٠٤٨). إن الأنواع المختلفة من النباتات والحيوانات هى نتيجة عمل محدد في الخليقة وهذا واضح من القول «كل كجنسه» وهذا يذكره علم أساسيات الوراثة بين الأجناس.

عندما نؤمن بسلطان العدد الأول من الكتاب «في البدء خلق اللّه» نرى أن هناك أموراً كثيرة لم يذكرها العلم، ورغم ذلك فإن علم التطور يجادل ويثابر ويراوغ في جهل متساءلاً متى بدأ كل شيء؟ ويجيب الكتاب المقدس، إن الكون بدأ من العدم ولكنه بدأ باللّه نفسه. والتطور يحاول بالمجهودات العلمية والفلسفية أن يصل إلى أصل الكون وحقيقة الخليقة، ولكن التطور غير قادر على إثبات نظريته لأنه لم يؤمن بالبدء الذى هو أصل كل الخليقة، ولو افترضنا أن الحياة بدأت من العدم أو من مادة أولية كافية فإن العلم لم يستطع أن يؤكد هذه النظرية وعندئذ يتوقف التطور، أما الكتاب المقدس فيعطى الإجابة الكافية لأصل الخليقة في الجملة الافتتاحية «في البدء خلق اللّه».

السؤال العظيم

يقول صاحب نظرية التطور باستهزاء «أنا ببساطة لا أستطيع أن أقبل تعليمكم عن الخليقة لأنه لا يوجد تفسير وإجابة عن السؤال من أين جاء اللّه؟ وإن كان اللّه خلق السموات والأرض فهل يمكن أن تقول لى مَنْ خلق اللّه؟ وبازدراء وتكبر يقول حتى ولو اعتبرنا بوجود اللّه في البدء فأنا لا أستطيع أن أقبل ذلك.

أما المؤمن فيجيب عليه قائلاً: ما هو تفسيرك لأصل الكون وما هو تقديرك لبدايته؟ لكن الملحد الواثق من إلحاده يجيب: إن كل العالم الحي (العضوى) وغير الحى (غير العضوى) يكون نتيجة تفاعل متبادل تبعاً لقوانين ثبات القوة الملموسة بواسطة الجزئيات التى كونت المادة الأولية للكون.

نعم نعم يجيب المسيحى؛ ولكن قل لى كيف ومن أين جاءت هذه المادة الأولية إلى الوجود؟ من أين تكونت الجزئيات وكيف حدث تجاذب وتفاعل للمادة الأولية؟.

يجيب الملحد فيقول «حسناً إن المادة موجودة دائماً ومنذ الأزل لكن لا نعرف من أين جاءت ونحن نفترض أنها موجودة دائماً».

«حقيقة وبالفعل» يجيب المؤمن ويقول للملحد «أنت تجيب باستهزاء لتعرف من أين جاء اللّه ومَنْ صنعه ومن خلقه وتقنعنى أن أؤمن بنظرية المادة الأولية والسديم والغشاوة المعتمة!».

لقد قال الرب عن الذين ينكرون الحقائق أنهم يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل (مت ٢٣:٢٤). وإذا صرف الملحدون آلاف السنين في التخمين والتخيل والنظريات الوهمية بدون

الإيمان بالله الخالق، فلن يصلوا إلى الحقيقة. لا توجد نظرية للإضاءة ولكن يوجد النور، والنور هو الإيمان أن الله في البدء خلق كل شيء.

أساس الإيمان

يقول داود «قال الجاهل في قلبه ليس إله» (مز ١٤:١)، وبهذا الجهل خدع الشيطان علماء التطور وأوهم الشيطان العلماء أن نظرية التطور تحل محل كلمة الله وأن هذه النظرية تهتم بأصل الإنسان، لكن نظرية التطور لا تهتم بسقوط الإنسان في الخطية والخطة اللازمة للفداء. الشيطان يقنع الإنسان بأنه قادر أن يتطور إلى إله كما قال لحواء «وتكونان كالله»، أما برنامج الله فيبدأ بالخالق الذى خلق الإنسان على صورته، وهذا هو أساس الإيمان الذى يعتمد على قدرة الله الذى خلق الإنسان ويدحض التطور الذى ينسب أصل الإنسان إلى القرد.

تطوير التطور

قبل ظهور نظرية التطور بعشرات القرون أعلن بولس أن الإنسان مناهض لله بقوله «لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم» (رو

١ :١٨) وهنا يقول بولس إن الله غاضب على الإنسان الساقط الرافض للحق وينكر وجود الله، ويستطرد بولس بقوله «إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم» (رو ١ :١٩) ورغم هذه المعرفة فإن الإنسان يستمر في مسلسل رفضه للحقائق الإلهية حتى ظهر الله بنفسه متجسداً، وبدا الإنسان كأنه زكى وحكيم وأنكر الخالق، ودخله الفكر الشيطانى الفاسد وظن أن معرفته أعلى من كلمة الله، ويستمر بولس في إعلان وجود الله قائلاً «لأن أموره (الله) غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر» (رو ١ :٢٠).

الخليقة شاهدة على وجود الخالق وشهادتها كافية ولا عذر عند العلماء والرافضين لحقيقة وجود الله الذى خلق الكون، ومع فرض أن هذه الخليقة العظيمة بما فيها من كواكب ونباتات وحيوانات وبشر قد تكونوا من ذرة دقيقة انشطرت نتيجة قوة هائلة عمياء فتحولت هذه الانقسامات إلى جزئيات مختلفة ثم إلى عناصر وحدث التطور فمن أين جاءت هذه الذرة؟ ومَنْ الذى أحدث الإنقسام؟ وكيف تكونت الجزئيات والعناصر؟ إن العلماء يقولون إن العناصر الطبيعية أقل من مائة والبعض الآخر من هذه

العناصر يتكون صناعياً أو بالتخليق ثم بقوانين التباديل والتوافيق تتكون عناصر مختلفة لتصبح كيمياء، نباتات، أجساماً حيوانية ينتج منها الأشجار والأسماك والطيور، وهذه العناصر أو المعادن توجد بالملايين وكل نوع من هذه العناصر له قوانينه الطبيعية والوراثية وقانون التناسل.

ولتكذيب تلك القصة عن العناصر دعنى أُوضح أن أحرف الهجاء في الإنجليزية ٢٦ حرفاً ولو أخذنا ٥٠ بليون حرف من الألف إلى الياء ووضعناها في إناء وخلطت مع بعضها فهل هذه الحروف تُكوِّن مزمور ٢٣ أو تؤلف قصيدة «الغروب المفقود» لملتون، أو قصة «ماكيث» لشكسبير؟

أنا لا أعتقد أن هذه الحروف قادرة على ترتيب نفسها لكنها تحتاج إلى مؤلف، وهذا ينطبق تماماً على العناصر الكيميائية التى يدَّعى العلماء أنها تفاعلت مع بعضها وكوَّنت الخليقة بعناصرها.

إن الإدعاء بأن هذا الكون خُلق منذ ملايين الأزمنة أسهل جداً من الاعتقاد بأن مائة عنصر كيماوى من العناصر الطبيعية اتحدت مع بعضها بصورة عشوائية وتطورت إلى كواكب وأزهار

ونباتات وطيور وحيوانات، ولكل جنس من هؤلاء له قوانينه المحددة وتطور بذكاء تام. إنه أمر مستحيل!

عودة إلى رسالة رومية

يكتب بولس عن أولئك الذين ينكرون الخالق ويقول «لأنهم لما عرفوا اللّه لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبي» (رو ١:٢١)، وبدلاً من أن يقبلوا كلمة اللّه ويمجدوا اللّه ويشكروه، تكبروافي أفكارهم وتصورات قلبهم وأغمضت أعينهم عن إعلان الحق الإلهي، ولذلك اخترعوا التطور الذى كتب عنه بولس من ألفى سنة. وظهرت هذه الحقيقة في قول بولس «وأبدلوا مجد اللّه الذى لا يفنى بصورة الإنسان الذى يفنى والطيور والحيوانات والزحافات» (رو ١:٢٢، ٢٣).

إن بولس يعلن بالروح القدس أن البدء يبدأ باللّه ثم يتدرج إلى الأقل أما التطور فإنه يبدأ بالأقل لينتهي باللّه، فنظرية التطور تشمل تلك المراحل الخمس:

الزواحف ـ الطيور الطائرة ـ الحيوانات ذا ت الأربع ـ الإنسان ـ اللّه

التطور هو اجتهاد الإنسان ليصل إلى الحقيقة بدون الإيمان

بالله خالق الخليقة، والتطور لا يعطى تفسيراً لوجود الشيطان والخطية، والموت، والفقر، والمرض والمعاناة، ولا يوجد مكان في نظرية التطور لفداء الإنسان وخلاصه من الخطية ولا يتكلم التطور عن الصليب والمخلّص والقيامة والحياة الأبدية.

الكتاب المقدس إما ثابت أو متزعزع

لا يقدر أحد أن يؤمن بالتطور وبالكتاب المقدس في وقت واحد لأنهما متعارضان ولا يتفقان، فلا عجب إذا حاول التطوريون زعزعة الكتاب المقدس بمقارنات عارية من الحقيقة. لقد كان الكتاب المقدس منذ سنوات عديدة شعاراً في كثير من مدارسنا العامة (في أمريكا بلد المؤلف) لأن نظام مدارسنا تأسس على المسيحيين الذين بنوا حياتهم على قول الرب «بدء الحكمة مخافة الرب» ولكن للأسف أنه في السنوات القليلة الماضية ومع زيادة عدد المدارس، قل انتشار الكتاب المقدس والسبب في ذلك أن هذه المدارس قبلت تعليم نظرية التطور وأصبحت هذه النظرية تُدرَّس في المدارس والكليات بدلاً من تعاليم الحق الإلهي، وأصبحت هذه النظرية تدخل في المناهج الدراسية من الحضانة حتى السنوات النهائية، ويا للأسف! فإن هذه المدارس تقول

لا، لا، لا للكتاب المقدس، وهذا غير قانوني ومخالف للدستور الأمريكي؛ وكيف يكون ذلك بينما أقسم الرئيس الأمريكي أن يعمل بالكتاب المقدس وأطفالنا يتعلمون ويقبلون نظرية التطور؟. وكم من الغرابة أن يظهر في مدارسنا التعصب ضد تعاليم المسيح وتستهزىء بميلاه وتفتح المحلات التجارية سبعة أيام الأسبوع حباً في التربح القبيح.

خلال الحرب العالمية الثانية كان يُعطى لكل جندى ذاهب للحرب كتاب العهد الجديد موقعاً عليه من الرئيس الأمريكى روزفلت ويوصى الجندى أن يقرأ كلمة الله، لقد أعطى الكتاب المقدس لأولادنا الذاهبين للحرب ولم ندع الآن أطفال مدارسنا يروا رهبة وهيبة الكتاب المقدس لأنه بعيد عن أعين أولادنا، فلو كان الكتاب المقدس هو الأساس في مدارسنا فإن أولادنا لا يموتون في خطاياهم. إن الكتاب المقدس يوزع في السجون للرجال والنساء الذين خلف القضبان وفي الإصلاحيات ولم يرتفع صوت محتج أو معارض، بينما لم يوزع لأولادنا وبناتنا في المدارس. لقد صدقت أقوال بولس «بينما يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء» (رو ١:٢٢)، فإذا أُعطى الكتاب المقدس لشباب المدارس ستقل

أعدادهم في السجون والإصلاحيات ولكن يوجد عدد قليل يبذلون مجهودات لنشر وتوزيع الكتاب المقدس في معاهد التعليم المختلفة، ويلزم وجود أمناء يعارضون نظرية التطور غير الصحيحة لأن هؤلاء التطوريين أسلمهم اللّه أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة... واستبدلوا حق اللّه بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذى هو مبارك إلى الأبد. آمين (رو ١:٢٤، ٢٥). وربما نكون قد تأخرنا للدفاع عن حق اللّه الذى بين أيدينا ويجب أن نطهر أيدينا وضمائرنا برفع أصواتنا ضد هذا الفساد السرطاني الذى يخترق ويقتحم مؤسساتنا التعليمية والعلمية وينضح شروراً في وجه العدالة.

الفصل السابع

القبول .. أو الرفض

"في البدء خلق اللّه السموات والأرض" (تك ١:١)

للإنسان حق الاختيار أن يقبل أو يرفض أقوال الكتاب المقدس، وقبول هذه الأقوال دليل أكيد على صحة وحقيقة إعلان اللّه الخالق لخليقته، ولكن عندما لا يؤمن الإنسان بهذه الحقائق فإنه يرفضها ولا يقبلها مع الأخذ في الاعتبار أن اللّه لا يعطى حجة أو تفسيراً لكى يؤمن الإنسان ولا يضيع الوقت لإقناعه لكى يشبع فضوله، ولا يُقدم اللّه اعتذاراً عن صمته ويترك الأمر بيد الإنسان ويضعه في موقف الاختيار النهائى للإيمان ليرى هل يؤمن الإنسان بأن اللّه هو أصل الخليقة ومبدعها أم يرفض الإنسان في كبرياء وعدم إيمان بعمل اللّه في خليقته؟. وإذا سألتنى لماذا أقبل الآية الأولى من سفر التكوين كحقيقة أكيدة، فإن إجابتى هى أن اللّه الواحد قد قال هذه الآية، وهو وحده القادر أن ينطق بمثل هذه الحقائق لأن اللّه كان هناك عندما خلق وعندما

قال، وإذا كنت تشك أن الله هو الذى صنع العالمين دعنى أسألك هل كنت مع الله هناك في البدء؟ هل تكلمت مع أحد الأقانيم؟ وإذا كانت الإجابة «لا» يجب أن تؤمن أن الله الكلمة الوحيد الذى كان هناك خالقاً وصانعاً.

علم الآثار القديمة

لا تؤثر تلك الانتقادات في المؤمنين ولا تسبب لديهم مشكلة حيث إن كل منهم يؤمن أن الله القادر هو الذى خلق الكون. ونأسف للاعتراضات الكثيرة على صحة وحقيقة أقوال الله رغم أن الخليقة نفسها تشهد بذلك كما يقول بولس «إذ معرفة الله ظاهرة فيهم إذ أظهرها الله لهم لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم...» (رو ١ :١٩، ٢٠). إن الخلق هو جزء من القوة الشخصية لأن الخلق يحتاج إلى شخص له القوة والقدرة. أنا أعلم أن خلف صناعة الساعة يوجد الساعاتى الذى صنع الساعة، وأن خلف شجرة الصنوبر شخص خلق هذه الشجرة، ومع شجرة الصنوبر توجد شجرة الدرداء العظيمة ومعها توجد شجرة القيقب (الاسفندان) وكل هذه النباتات توجد مزروعة في تربة واحدة وتستقى من مطر واحد وتسطع عليها شمس واحدة، ولكنها

تختلف في الشكل والأوراق والعصارة النباتية، فمَنْ خلق هذه الأشجار ذات النواتج المختلفة؟ إنه اللّه الخالق الذى قال «في البدء خلق اللّه» وليس علم الآثار الذى يبحث فيه الإنسان عن أصل الخليقة لذلك فإن الإنسان بلا عذر.

تعليم الحماقة والجهل

يوجد تناقض غريب عن الإنسان فهو من جهة يدّعى الحكمة والذكاء ومن جهة أخرى يُظهر حماقته وجهله، فالإنسان الذى أصبح عالماً في جميع أفرع العلوم المختلفة يرفض حقيقة الخلق وينكر اللّه الخالق، والإنسان الطبيعى يعيش في ضلال حتى الحكماء منهم هم أكثر إلحاداً وكفراً. الإنسان الذى هو أكثر فهماً ومعرفة وعلماً يفشل في فهم الكتاب المقدس، والسبب في ذلك كما قال بولس «لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند اللّه» (١كو ٣:١٩) وكما قال يسوع «إن لم تُولد من فوق لا تستطيع أن ترى...» (يو ٣:٣)، لأن الإنسان الطبيعى أُطمست عينيه وأصبح أعمى عن الأمور الروحية ويعيش في زيغان وضلال ولا يعلم أن الحكمة والذكاء والعلم بدون معرفة اللّه تعتبر جهلاً وتُغلق عيناه عن الكتاب المقدس إلى أن تنفتح بالإيمان بكلمة

اللّه. وعندما يعترف الإنسان بالكتاب المقدس الذى يشهد عن اللّه الخالق عندئذ تنفتح عينا هذا الإنسان ويؤمن ويفهم أن العالمين أُتقنت بكلمة اللّه (عب ١١: ٣).

لكن إن لم يؤمن الإنسان فإنه أعمى يعيش في ظلام الجهل بعيداً عن معرفة الحق الكتابى رغم أن عينيه مفتوحتان على الطبيعة التى تحيط به وتشهد عن اللّه خالقها. إن العلم الكثير والغزير بدون رؤية روحية يكشف عن جهل الإنسان وغباوته لينكر إعلان اللّه. لقد وضع اللّه الضمير في شعوب القبائل الأولية التى عاشت على الأرض لتعرف اللّه بالفطرة والغريزة رغم أنها عبدت آلهة غريبة، تلك الشعوب لم تفكر في التطور لكنها آمنت بالخليقة وخالقها سواء كانت هذه الشعوب قاطنة في شمال أو جنوب الكرة الأرضية إلى أن وصل إليها نور الحق الإلهى فعرفت أن اللّه خلق هذا العالم من البدء.

إعلان الكتاب المقدس

بالإضافة إلى الضمير والغريزة الفطرية يوجد الكتاب المقدس الذى هو إعلان اللّه المعصوم والثابت وليس العلم الذى مازال يبحث عن أصل الكون، ولا يتكلم عن فداء الإنسان وخلاصه،

والذهن المفتوح لكلمة الله يعرف طبيعة الكتاب المقدس الذى كتبه رجال الله القديسون من ألفى سنة بواسطة كُتاب مختلفين من الفلاح البسيط إلى الملك وبدون تعارض ولا صراع بل كُتب في تجانس وتوافق تام وعندما نطبق ذلك على نظريات التطور سنجد أن الكثير منها لا يُقبل ولا تَصلح أن تكون نظرية معتمدة حيث لا يوجد اثنان من التطوريين متفقان مع بعضهما بداية من أرسطو طاليس الذى عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، وحتى اليوم.

لم يملك أرسطو طاليس أى برهان أو دليل مادى على تطور الحياة بواسطة التوالد الذاتى من الأجيال المتعاقبة عندما افترض ظهور الدود الذى يتولد تلقائياً في اللحم الفاسد من حياة لم تكن، وعندما جاء المستكشف فرانسيسكو ريدى قال إن الدود الذى أصبح ذباباً فقس من بيض الذباب الذى جاء من دود آخر وتكونت أجيال الذباب.... إلخ. ولم يكن سبنسر متفقاً مع دارون كما أن «هكسلى» أنكر كل تعاليم «سبنسر» وكل دعاة نظرية التطور الآخرين. والأمر يختلف تماماً مع الكتاب المقدس عندما كتب عن كل أفرع العلوم المختلفة وهى حقائق لا تحتاج إلى مراجعة لأن الكتاب المقدس ثابت ومعصوم.

وقبل أن ننهى هذا الفصل أريد أن أهمس في آذان الذين ينادون بالتطور ونقول لهم إن الإنسان لم يتطور من الحيوانات الأقل، وهذا يقلل من قيمة وعظمة الإنسان ويحطون من تاريخ الإنسانية، وإذا قبلنا نظرية أن الإنسان تطور من أصل حيوانى بواسطة النشوء والارتقاء فتصبح الآية في (تك ١:١) غير حقيقية ونُكذب اللّه الذى خلق الإنسان على صورته وكشبهه.

إن نظرية التطور تبدل صورة اللّه بصورة قرد، وهى نظرية فساد ولا تخبر الإنسان عن الخطية والكفارة والفداء والخلاص. تقول نظرية التطور أن الشر والغضب والحقد الذى في الإنسان توارثه من الأجيال السابقة وأن الفساد والعنف والشهوة والخيانة والخداع قد انتقلت من النمر والقرد إلى الإنسان، وبالتطور زادت هذه الخطايا حتى وصلت إلى ما نحن عليه، ولو كان ذلك حقيقياً لارتقى الإنسان وتطور إلى مكانة أعلى من الإنسان، ولماذا وقف الإنسان على سلم التطور كخاطىء، أثيم ومجرم لا يحترم إنساناً ولا حيواناً؟ إنه شيء غريب ومضحك!

الفصل الثامن

أدلـــة الـوحـى

"في البدء خلق اللّه السموات والأرض" (تك ١:١)

كلمة اللّه هى الإعلان الأول والأخير لأصل الكون، لأنها كلمة اللّه الخالق وستبقى منطقية وثابتة مع بساطتها. قارن هذه الجملة البسيطة «في البدء خلق اللّه» مع أقوال العالم الشهير هربرت سبنسر في كتابه «كيف تأسست الأرض؟» عندما يقول «إن المادة الكاملة خرجت من ذرة محدودة وتفككت إلى كتل محددة متماسكة وغير متجانسة نتيجة قوة الطاقة». والعلم لا يؤيد أو يدعم نظرية التوالد الذاتى التى تدَّعى أن المادة الحية جاءت من مادة غير حية، لأن علم وقانون توالد الأحياء يؤكد على أن الأعضاء الحية تأتى فقط من توالد الآباء الأحياء وتكوين النطفه ثم الأعضاء الحية التى تظل باقية في الحياة. ويمكن القول بأنه لا توجد حياة بدون حياة سابقة لذا يجب أن نرجع في النهاية إلى مصدر الحياة.

الإله الحى أعطى الإنسان حياة والرب هو سيد الحياة ومصدرها ومعطى حياة لكل حى. يقول يوحنا عن هذا الخالق «كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس» (يو ١:٣، ٤).

موسى العالِم

كان موسى أول مَنْ وضع مبادىء الحياة قبل أن تخلق ووراء هذه الخليقة وجود خالق حى كان في البدء، وتوجد خطورة لعدم الإيمان بافتتاحية سفر التكوين وعدم تصديق أقوال اللّه لأنه يتكلم أيضاً عن الخلاص والمصير الأبدى للإنسان، وكل التعاليم المسيحية مبنية على أسفار موسى الخمسة وافتتاحية هذه الأسفار بجملة متناسقة «في البدء خلقَ اللّه السموات والأرض» ، وإن كان العلم الحديث الموجود كمرجع ومؤلفاته تعتبر مراجع لاكتشاف المادة فإن الأسفار المقدسة التى كُتبت من أربعة آلاف سنة تعتبر مراجع حقيقية ومؤكدة ولا تحتاج إلى مراجعة، وعندما كتب موسى لم يكن العلم الحديث قد ظهر وكل العلوم كانت مهجورة، غير أن موسى الذى تهذب بكل حكمة المصريين كان مقتدراً في القول والفعل (أع ٧:٢٢).

الفعل تهذب يعنى تعلم وتثقف، كما نلاحظ كلمة أخرى وهى «كل» فقد تعلم موسى كل أفرع العلم في مصر، وماذا كان معلمو ذلك الزمان يعلمون؟ وماذا كان علماء مصر يقولون عن علم الطب الذى أنا أهتم به؟ لقد نسب المصريون كل الأمراض إلى الشياطين التى تسببت في حدوث الأمراض؟ كما ظهر التعزيم والرقية والحجاب والتعويذة والسحر والتى كانت تمارس بحرية كذلك نزف الدم بواسطة الفصد لعلاج الآلام، واليوم حل العلم الحديث بدلاً من الطرق القديمة لعلاج الأمراض. لقد تعلم موسى أن الكبد والأحشاء مصدر للحياة واليوم نعرف أن الدم هو سائل الحياة، وظهرت أيام موسى معالجة بعض الأمراض بالأدوية الخام مثل مسحوق جلد الضفدعة وبتر بعض الأعضاء والكى والشم لطرد الشياطين والبرص والقرحة، كما كانت تُدرس علوم التشريح والفسيولوچى والتحنيط وعلم الأمراض. لقد عرف موسى البكتريا قبل أن يكتشفها لويس باستير في نهاية القرن التاسع عشر، وعرف موسى الدم والدورة الدموية من آلاف السنين قبل وليم هارفى مكتشف الدورة الدموية في القرن السابع عشر، كما عرف موسى التطعيم والتعقيم والتطهير لقتل البكتريا والجراثيم الضارة والحجر

الصحي لمرضى البرص حتى لا تنتشر الأوبئة قبل اكتشاف جوزيف ليستر من مائة عام.

موسى عرف كل هذه

من أين حصل موسى على كل هذه المعلومات؟ هل من جامعات مصر؟ إن موسى لم يتعلم العلم الحديث بل كتب أسفاره قبل ظهور العلم والاكتشافات والاختراعات الحديثة. دعني أعطي إيضاحاً فقد كتب عن علم الوقاية من الأمراض، وعرف البكتريا المسببة للأمراض بواسطة التلامس وتحتاج إلى العزل والحجر الصحي للمصابين بالبرص وكانوا يعزلون تماماً ويحرسون خوفاً من انتشار الأمراض، وتغسل الملابس وتعقم الأواني بواسطة الحرارة وبعد الإصابة يعزل المريض لمدة أسبوع آخر وعندما يحكم الكاهن بطهارة الأبرص يغتسل بماء جاري «ماء حي» (لا ١٥:١٣) وكان المرضى يغتسلون بماء حي لخطورة انتشار البكتريا ونفس الشيء يفعله الجراح قبل إجراء الجراحة بوضع يديه تحت الصنبور لينساب الماء إلى ركبتيه وقدميه ويفرك يديه تحت الماء الجاري من خمس إلى خمس عشرة دقيقة، ولا يغسل الجراح يديه في إناء لأن البكتريا الموجودة في يديه ستنتقل إلى ماء الإناء

وتلوثه وهذا الماء لا يطهر اليدين اللتين ستجريان العملية. لقد عرف موسى ذلك بالضبط وذكره في سفر اللاويين.

إن العلم الحديث لم ينكر حقائق كل العلوم التى تعلمها موسى والتى أصبحت اليوم علوماً تطبيقية اكتشفها العلماء بعد موسى بمئات القرون. كما وجد علماء التشريح أن جسم الإنسان يتكون من نفس العناصر المعدنية الموجودة في الأرض، لأن الإنسان صُنع من تراب الأرض. ونتساءل كيف أن موسى وباقى كُتاب الكتاب المقدس تلاشوا أخطاء وخرافات عصرهم؟ ومَنْ الذى حفظ الكتاب المقدس من الجهل الذى انتشر في أزمنة الكتابة؟ ومَنْ حفظهم من التعارض بعضهم مع بعض وهم منفصلون عن بعض بمئات السنين؟ لا توجد سوى إجابة واحدة، إنه الوحى الفائق والإعلان الإلهى! لقد أعطى هذا الإعلان من أربعة آلاف سنة قبل الميلاد. لقد علَّم عن الشريعة والقانون الشرعى والقانون الدولى والناموسى، والحكمة والفلسفة النافعة لكل العصور، وأساس التشريع لكل قوانين العالم. لذا سأظل أجاهر بإيمانى أن اللّه في البدء خلق السموات والأرض وخلق الإنسان على صورته كشبهه.

التاريخ الطبيعي

يحتوى العهد القديم على ٢٥٠ نوعاً للنباتات والأشجار والأزهار ابتداء من أشجار الأرز العظيمة إلى الزوفا النابت في الحائط. لم يجد علماء النبات أى تحريف أو أخطاء للأسماء العلمية والوصف النباتي لنباتات الكتاب المقدس، ونفس هذه الحقيقة وجدها علماء الحيوانات حيث إنهم وجدوا تصنيف حيوانات الكتاب المقدس مطابقة للتصنيف العلمي، ويدحض الكتاب المقدس كل انتقادات العلم الحديث الذى فحص من لوياثان حتى القواقع ومن الأسد حتى العث الموجود بالثوب. ويذكر علم الطيور أن النسر يستطيع أن يشم رائحة جثث الحيوانات من بعيد ويرى فريسته عن بُعد لأن النسر حاد البصر وهذه الحقيقة ذكرها الكتاب قبل أن يكتشفها العلم بأكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد (أى ٣٩:٢٦ ـ ٣٠).

وفي علم الأرصاد الجوية والتقلبات المناخية «الميتورولوچى» ذكر الكتاب المقدس حقائق أكيدة فقد ذكر سليمان الأمطار (جا ١:٧)، وطبيعة الرياح (جا ١:٦)، وذكر الكتاب قوانين التكثيف والمد والجزر وتحدث عن چيولوچيا الأرض والعوامل

البيئية بإعلان إلهى فائق ليتفوق على العلم الحديث ونظرياته. لقد قال «بلاتر» إن الإنسان المصرى نشأ من طمى النيل والبعض قال إن العالم فقس من بيضة ذات أجنحة وقد كان هذا الاعتقاد مقبولاً عند قدماء المصريين وكان يُدرس في مدارسهم، ولو كان هذا الاعتقاد صحيحاً لكان موسى نفسه نشأ من طمي النيل وذكر ذلك في سفر التكوين وتحدث عن البيضة المجنحة التي خرج منها العالم، لكن في الحقيقة قال موسى «في البدء خلق الله» والإنسان مخلوق على صورة الله مع أن موسى تهذب وتعلم بكل حكمة المصريين!

في أثناء كتابة الكتاب المقدس كان العالم يعيش في عصور جاهلة ومظلمة وظهرت الأفكار الكثيرة ومعلومات مختلفة عن الأرض والبعض اعتقد أن الأرض كانت منبسطة وسطحية، والبعض قال إنها مثل الطبلة والحكماء القدامى قالوا إن الأرض وضعت على ظهر سلحفاة عظيمة استقرت على ثعبان عظيم ملفوف، واعتقد آخرون أن الأرض كانت على ظهر فيل عظيم وأن حركة رأس الفيل تُحدث الزلازل، وفي أواخر سنة ٤٠٠ بعد الميلاد قال القديس أوغسطينوس لا توجد حياة تحت الأرض

بسبب ظلامها الشديد، وقد رفضت الكنيسة هذا التفسير واعتبرت أن الحديث عن الأرض هرطقات ويحرم من الكنيسة ويعتبر كافراً كل مَنْ يتحدث في هذا المجال، وحتى علماء اللاهوت المسيحي حكموا على جاليليو بالكفر والحرمان لأنه تكلم عن الفلك والكواكب والمذنبات وقال إن الأرض ساكنة وثابتة والقمر يتكون من مخلوط الهواء والنار، أما اللاهوتيون في ذلك العصر قالوا إن المذنبات هى أنفس الناس وهم في طريقهم إلى السماء، واعتقد البعض أن المذنبات هي ملائكة تحمل نفوس الأبرار إلى مكان الراحة. وعندما نرجع إلى حقائق الكتاب المقدس الذى كتبه أناس لم يعاصروا هذه الاكتشافات قالوا إن الأرض كروية» (إش ٤٠ :٢٢) وأن الأرض استقرت على لا شيء وهى معلقة في الفضاء» (أى ٢٦ :٧).

لا عذر

الكتاب المقدس لم يعلن فقط عن الخليقة، لكنه يتكلم بإعلان اللّه عن خلاص الإنسان الذى سقط في الخطية وأصبح تحت الموت والدينونة وتنتظره ظلمة ونار أبدية، وأظهر الكتاب خطة الفداء بإرسال ابن اللّه إلى العالم ليموت من أجل الخطاة ويخلص أولئك الذين يؤمنون به وبكلمته لينالوا بالإيمان الحياة الأبدية ولا يأتوا

إلى دينونة جهنم والوقائد الأبدية، بل يصبحون أولاداً لله. وإذا قبلت ذلك بالإيمان خلصت ولكن إن لم تؤمن فماذا تختار؟ وإذا قبلت حقيقة أن الله في البدء خلق السموات والأرض سوف تؤمن أن يسوع المسيح هو الخالق الذى به كل شيء كان (يو ١:١ - ٣)، ويسوع المسيح هو كلمة الله المتجسد وأنه واحد مع الآب، وإذا لم تؤمن بما في (تك ١:١) لا تستطيع أن نؤمن بما في (يو ١:٣) وتنكر يسوع المخلّص ولكن لماذا لا تقبله الآن وتقول «أنا أؤمن. أنا أقبل يسوع المسيح المخلّص، وبالإيمان بكلمة الله أثق بأنه سيحفظني إلى الأبد.

الفصل التاسع

تطوّر أم خَلْق ؟

رغم الأسئلة الكثيرة عن أصل الكون ومن أين جاء وما هى المادة الأولية التى تكون منها ؟ لا توجد غير إجابتين فقط هما أن الكون خُلق أو تطور. والكتاب المقدس يؤكد بأن هذا الكون خُلق بقوة هائلة خارقة للطبيعة هى قوة الخالق. وأن الإنسان خُلق على صورة اللّه وأصبح نفساً حية بواسطة نفخة روح اللّه، وينبغى أن تؤمن بهذا الخلق وتعتبره حرفياً كما دونه الكتاب المقدس وأن الأبحاث الصادقة تؤكد هذه النتائج النهائية للإعلان الإلهى.

أما التطور فاعتبر الإنسان هو العمل المتقدم لتطور الكون، فقد ذكر «دارون» في كتابه «أصل الأنواع ص ٥٢٣ أن كل الحيوانات والنباتات انحدرت من الحالة البدائية المفردة، ولو كان ذلك صحيحاً فإن كل الأجناس بما في ذلك الإنسان، تكون قد انحدرت من الأصل الأقل وأن كل التغيرات في العالم العضوى حدثت نتيجة قوانين الطبيعة وليست بعمل معجزى، واعتبر العلماء أن خط الإنحدار بدأ من البروتوزوا الأولية والتى تطورت

إلى ديدان ثم أسماك وبرمائيات وزواحف وطيور وثدييات وأخيراً تطورت الثدييات إلى الإنسان، وعندئذ تتوقف نظرية التطور، وعندما نسأل لماذا توقفت نظرية التطور عند الإنسان ولم تُكمِل التطور إلى الأعلى، يقف العلماء قائلين لا توجد إجابة.

من هذا يتضح أن سجل الخليقة في (تك ١) يتعارض تماماً مع نظرية التطور وعلينا أن نقبل واحدة من الاثنتين: الخلق أم التطور، وليس من المنطقي أن نقبل الاثنين معاً، فواحدة من الاثنتين كاذبة والأخرى صادقة. إن الذين ينادون بالتطور لا يؤمنون بالخلق وعلى العكس من ذلك فإن الذين يؤمنون بالخلق المذكور في كلمة الله هم في تعارض مباشر مع التطور، وكما يقول هـ.ج. ميللر مازحاً «لو كانت كل الحيوانات والإنسان تطورت، عندئذ لا يوجد الآباء ولا جنة عدن ولا سقوط في الخطية ويكون المسيحيون قد زيفوا التاريخ ولا توجد الخطية الأساسية ولا يوجد سبب للكفارة والفداء وتنهار هذه الحقائق مثل بيت من ورق». وعندما تقول إن الإنسان انحدر من القرد لا يمكن أن نصدق ما جاء في (١تي ١:١٥) ولا نقول إن المسيح جاء ليخلص الخطاة بل نقول إن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليُخلص القرود وليس البشر الخطاة.

الحقيقة والرمز

من الخطأ الخلط بين الكتاب المقدس والتطور، ولكن يوجد أناس خلطوا بين الأمرين وشعارهم نحن نؤمن بالتطور وبالكتاب المقدس. هؤلاء جهلاء ويغالون في إيمانهم. ياللعجب عندما نخلط بين الخلق والتطور! وإن كان هناك تطور فهو تطور بين الأجناس المختلفة لأن الخليقة الحية تطورت بواسطة إله الخلق الذى أؤمن به. يقول التطوريون إن أحداث الخلق حسنة ولكنها لم تدخل في اختبارات وأبحاث دقيقة، إن نظرية الإلحاد لا تذكر شيئاً عن سقوط الإنسان وأين ومتى سقط؟ والسقوط ليس تطوراً لكنه انحدار فأين كانت نظرية التطور عندما خلق اللّه الإنسان؟ وكيف يستطيع الإنسان مواجهة الخطية والموت، والخير والشر؟ ومَنْ يحتاج إلى التجسد؟ أين مكان الفداء والجلجثة والقيامة؟ إنه من السخافة أن نذهب وراء التطور الإلحادى، فإن هذه النظرية تعتمد على إنكار كلمة اللّه وعدم الاعتراف باللّه الخالق.

إجابة علماء التطور

صديقى عالم التطور يقول «يجب ألا تأخذ الكتاب حرفياً بل كرمز واستعارة» ولكن أين الرمز والاستعارة في أقوال اللّه؟ إذا

كان الأصحاح الأول من سفر التكوين مجازياً واستعارة ولا يصف الحقائق بالضبط فسيكون كل الكتاب رمزاً واستعارة وحقيقة سقوط الإنسان مجازية، وقصة قاين وهابيل تكون قصة خيالية والمسجل عن الشعب القديم وخروجهم من مصر وحياتهم في البرية هي قصص غير حقيقية، وقصة ميلاد المسيح تكون قصة مجازية، لذلك نكرر أن مَنْ يؤمن بنظرية التطور هو ملحد لا يؤمن بأقوال الله الصادقة ولا يوجد مؤمن مسيحي يؤمن بنظرية التطور. وإن كانت نظرية البقاء للأصلح تنادي بالارتقاء إلى الأعلى، فإن النعمة غير قادرة أن تجعل الإنسان صالحاً لأن الإنسان الصالح سيكون نتاج التطور وليس بعمل نعمة الله. لقد قال أحد الكتاب منتقداً نظرية البقاء للأصلح. إن جمعية تطور الإنسان تأثرت كثيراً بنظام التطور ونظام التكاثر حيث رأت الجمعية أنه من المحتمل أن يكون الجزء الأفضل للبشرية هو واحد بالمائة فقط وذلك نتيجة للتطور والانتخاب الطبيعي. (التطور ومصير الإنسان ـ كولر ـ ص ١٠٧ ـ ١٠٩).

ما هي الإجابة إذاً ؟

هناك الكثير من الأجناس تقع تحت اسم التطور وهذا ليس

تطوراً لكنه ارتقاء وتحسين داخل الأجناس الثابتة لأن الكتاب يقول «كل شيء كجنسه» ولا يوجد مَنْ يعيق ويوقف التحسين داخل الجنس الواحد، ولسوء الحظ أن كثيراً من الأفكار الخاطئة كانت نتيجة عدم فهم التحسين لاستنباط أصناف جديدة من نفس الأجناس، ولا يوجد دليل واحد على تطور جنس إلى الآخر، والحلقة المفقودة ستظل مفقودة للأبد.

لا نرفض التطور الذى يؤدى إلى التحسين والارتقاء داخل الأصناف ولكن نرفض التطور الذى يشير إلى التحول الأساسى ويتعدى على قانون اللّه «ليكن كل جنس كجنسه».

والعلم يجب أن يلتزم بهذا القانون، لأنه لا يوجد برهان على تطور الأجناس من الأقل إلى الأعلى. لقد بُنيت نظرية التطور على التأمل النظرى والأجزاء الباقية الضئيلة من تحلل الأحياء، كما أن العلم يحدد الآباء لإنتاج السلالات وهذه السلالات تبرهن على أن الآباء كانوا من نفس نوع الأصناف. إن أعضاء اثنين من الأجناس المختلفة لا تستطيع التداخل بين الأصناف وفي حالات نادرة يمكن لاثنين من الأجناس المختلفة أن تتزاوج ولكن النسل الناتج يكون عقيماً، وكمثال لذلك فإن البغال الناتجة من تزاوج

الحمار المخطط والفرسة (أنثى الخيل) تكون عقيمة تماماً ولا تستطيع التكاثر ومن المستحيل إنتاج صنف جديد، وكثير من الأصناف المختلفة لا تتزاوج ولا يبرهن العلم على حقيقة العقم بحقائق علمية منطقية.

التطبيق الروحى

إن نظرية التطور تهدم خطة اللّه لخلاص الإنسان، لقد قال يسوع «إن لم تولد من فوق لا تقدر أن ترى ملكوت السموات» (يو ٣٣)، ولم يقل يسوع إن لم يتطور الإنسان لا يرى ملكوت اللّه؛ وقال بولس «إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة». إن الشيطان يريد أن يقنع الإنسان بروح التطور بدلاً من خلقه خليقة جديدة. التطور يحتاج ذرية ونسل لكن الخليقة الجديدة تحتاج إلى تغيير وتطهير القلب الداخلى. لقد نادت النظريات الحديثة بالأدب والثقافة والتطور الاجتماعى بدلاً من الخليقة الجديدة التى تحتاج إلى خالق، حيث لم تنجح المجهودات الذاتية لخلاص الإنسان وتغييره، ولا يوجد تطور من إنسان جسدى إلى روحى أو من خاطىء إلى قديس حيث تبقى كلمات يسوع شاهدة للحق «المولود من الجسد

جسـد هو، والمولود من الروح هو روح» (يو ٣:٦)، ولا يتطور الجسد إلى روح بل سيظلون مختلفين إلى الأبد لأن قانون اللّه ثابت «كل كجنسه» والناتج شبه المنتج. فالذى يُولد من الجسد هو جسد والمولود من الروح هو روح، لذلك يجب أن تُولد ثانية.

الفصل العاشر

نعم للتغيير .. لا للتحويل !

"في البدء خلق اللّه السموات والأرض" (تك ١:١)

إن فكر الإنسان غير قادر أن يقبل أو يتصور شيئاً بدون البداية وسيظل يردد دائماً من أين أتت الأشياء؟ من أين بدأت؟ وتبقى الإجابة الأبدية هى أن اللّه هو أصل وخالق كل الأشياء، وفكر الإنسان المحدود لا يستطيع أن يصل إلى اللّه غير المحدود، وإذا استطاع الإنسان أن يؤمن بالبداية سيسأل ثانية من أين جاءت البداية؟ وإن كانت إجابة العلماء أن الكون بدأ من جرثومة أولية فمن أين أتت هذه الخلية الأولية؟ ولو فرضنا أن السديم الأول هو بداية الكون سنظل نتساءل من أين أتى هذا السديم؟

الكتاب المقدس يعلن عن البدء

بالطبع لابد أن نقتنع بإعلان الكتاب المقدس عن البدء وأن اللّه في البدء خلق كل الأشياء ولكن الذى لا يؤمن يستمر

يســأل.. كـيف بدأ اللّه؟ ومن أين بدأ؟ مَنْ صنع اللّه؟ يجب أن نقبل الواقع بالإيمان لأن الكتاب يؤكد دائماً بوجود اللّه وأن اللّه ليس من البدء بل من الأزل كما يقول موسى «من قبل أن تولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة منذ الأزل إلى الأبد أنت اللّه» (مز ٩٠:٢). وإن كان من السهل إجابة السؤال مَنْ صنع اللّه؟ رغم أنه لا توجد إجابة يمكن للسائل أن يتساءل بأسلوب آخر «مَنْ صنع الشخص الذى صنع اللّه؟ وندور في حلقة مفرغة وأسئلة بلا حدود. لكن الكتاب المقدس أجاب ببساطة في جملة واحدة فاصلة «في البدء... اللّه». كما أن إجابة الكتاب المقدس هى الإجابة المنطقية لأنه يبدأ مع اللّه كلى القدرة وكلى العلم مع الإله الأزلى.

مقارنة التطور

لابد من الاختيار بين كلمة اللّه والعلاقة بين الخالق وخليقته، وهذا الاختيار يضع الإنسان في مفترق الطرق إما أن يأتى إلى اللّه ويؤمن به أو يظل الإنسان يتخبط في أفكاره ويدور حول نفسه يتأمل ويفكر ويخمن في النظريات الفرضية. ونحن نرفض النظرية الأولية للتطور لأنها لم تبدأ باللّه الأزلى الأبدى خالق الكون كلى الحكمة والقوة لأن التطور الإلحادى لايؤمن بأن اللّه هو الخالق.

نظرية التطور الإيمانى

هذه النظرية تفترض وجود اللّه الخالق في البداية ثم ترك الخليقة تتطور حسب قوانين الخلق والوراثة بدون تدخل من اللّه. تلك النظرية تفترض أن الكون مثل الساعة التى تديرها الرياح أولاً ثم تترك الساعة لتحرك نفسها. هذا التعليم يؤمن بوجود اللّه ولكنه ينكر الوحي والأنظمة الدينية. وتعتقد أن اللّه خلق الأرض الأصلية وأن المادة الأصلية لحياة النباتات والحيوانات التى تطورت تحت يد اللّه من المستوى الأقل إلى المستوى الأعلى بدون فصل بين الأجناس. ومَنْ يقبل نظرية التطور الإيمانى يعتقد أن اللّه هو الخالق لكنه ترك كل شيء يتطور من البروتوزوا ووصلت في النهاية إلى الإنسان. ولا تعتقد هذه النظرية بأن اللّه خلق كل شيء كجنسه. ولا يمكن أن نؤمن بالتطور الإيمانى لأنه لا يتفق مباشرة مع (١تك ١:١) كما لا يتفق مع بداية خطة اللّه لخلاص العالم.

كلمة تحذير وانتباه

تؤكد كلمة اللّه أن النباتات والأشجار لم تتطور، لأن اللّه خلق الأجناس منفصلة ومنعزلة عن بعضها في أيام الخليقة الستة

ولم تكن هناك أجناس وسيطة بين الأجناس الأساسية التى خلقها الله للتطور من جنس إلى آخر. وقد أثبت الله ذلك بقوله المتكرر عشر مرات في الفصل الأول من التكوين «كل كجنسه». وهذا برهان مقرر وثابت ولا جدال ونزاع فيه ولم يحدث تحويل بين الأجناس. ولكن لسوء الحظ حدث تداخل بين التطور والتحسين لاستنباط أصناف جديدة داخل الجنس الواحد. كما أن التحسين داخل الأجناس يحدث نتيجة الطفرات والتغيرات البيئية أو بوسائل أخرى لانتاج أصناف جديدة، فقد وضع الله حكماً وقانوناً هو «كل جنس كجنسه» وهو قانون محصن وثابت وراسخ ويقف كسد منيع ضد ؛كل نظريات التطور الحديثة.

دليل الأجناس

إن كلمة الله وعصمتها دليل صادق على عدم التطور. والاختبار بين الأصناف ناتج من خصوبة الآباء فإذا كان نسل الآباء خصباً فهو قادر على التكاثر وهذا دليل إيجابى على أن الآباء من نفس الجنس. وإذا حدث تداخل بين الأجناس يكون النسل الناتج عقيماً وغير قادر على التكاثر، لذا وضع الله قانون الأجناس من ستة آلاف سنة «أن كل جنس كجنسه» ولا يوجد

تحـويل أو تطـور بين الأجناس، وبالإخـصـاب تنحـدر الأبنا ء من الآبا ء داخل الجنس الواحد، وقد برهن العلم على ذلك، ولو عرف العلم أن كل جنس كجنسه لتصدى لنظرية التطور واقتنع العلماء أن قـانون الله هو حـجر راسخ وثابت في وجـه تطور الأجناس من الحياة الأقل إلى الحياة الأعلى.

بعض الأصناف

يرجع تعـدد الأصناف إلي أربعـة كلمـات هى «طفـرة ولـكن بدون تحـويل» حيث نجح الإنسان بواسطة الإنتـخـاب الطبـيـعى والتربية بطرق علمية في تحسين الكثير من النباتات والحيوانات وأنتج الكثير من الأصناف مثل إنتاج أبقار بدون قرون وبرتقال بدون بذور والجريب فروت والعديد من أصناف القرود ولا يوجد بينهم إنسـان وكـمـا قـال لوثر بربانك «لا يمكن لزهرة النرجس الأصفر أن تتطور إلى وردة».

مزرعة القندس (النمس)

لى صديق في شمال ميتشجان وهو عالم في تربيـة القندس «النمس»، والنمس البرى هو بنى اللون مع وجود بقع بيضـاء

متفرقة على فروته، وقد أدخل صديقي تغييراً في ألوان الآلاف من القندس وقد سجل نسل كل واحد منهم ولون الآباء ولون الأجداد، وعرف تداخل الچينات التي تحدث تغيير الألوان، وبواسطة قوانين الوراثة أمكنه إنتاج اللون المطلوب للموضة، وإذا تزاوج ذكر أسود مع أنثى لونها رمادي بلاتيني أمكنه التنبؤ بلون النسل الناتج والتباين في درجة الاحتمالات يكون محدوداً أو غير موجود، ولكن قد تحدث اختلافات في الحجم ومقاومة الأمراض نتيجة الاختيار تبعاً للوراثة، ولكنه عند تزاوج اثنين من القندس لم ينتج القنفد، لكن الناتج دائماً هو القندس وليس جنساً آخر.

التطبيق الروحي

والآن لماذا كل هذه التفاصيل؟ لأن أصل الخليقة هو الأساس في خلاصنا الأبدي كما يقول الوحي في الكتاب المقدس، وإن لم يكن الإنسان قد سقط فلا حاجة للمخلِّص لأن نسل القرود لا يحتاج للخلاص، ولو كان الإنسان تطور من الحيوانات الأقل يكون مخلِّص العالم الرب يسوع المسيح قد جاء من نسل الوحوش وطبيعته ليست إنسانية ولا صحة للميلاد العذراوي والموت الكفاري وعظمة القيامة والمجيء الثاني.

يكتب موسى عن الإنسان «يوم خلق اللّه الإنسان على شبه اللّه عمله. ذكراً وأنثى خلقه وباركه ودعا اسمه آدم يوم خُلق. وعاش آدم مئة وثلاثين سنة وولد ولداً على شبهه كصورته ودعا اسمه شيثاً (تك ٥: ١ ـ ٣). ولأن قانون اللّه هو أن الناتج شبيه المنتج ولد آدم ولداً مشابهاً له في صورة اللّه أيضاً كما خُلق آدم. وعندما وُلد شيث كان آدم خاطئاً وتبعاً لقانون الوراثة كان شيث الصغير طفلاً خاطئاً، وهذا القانون لا يمكن أن يتغير وكذلك كل نسل آدم وُلدوا خطاة مثل آبائهم وكما يقول داود «بالآثام صُورت وبالخطية حبلت بى أمى» (مز ٥١: ٥) وكما يقول بولس «الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد اللّه» (رو ٣: ٢٣).

إن عدو نفوسنا مؤلف نظرية التطور يخدع الرجل والمرأة ويبعدهما عن الخلق الروحى الثانى، ويخدع الإنسان الطبيعى بوجود بذرة صالحة في داخله تحتاج إلى تهذيب وتعليم لتتطور هذه البذرة إلى القداسة، والتطور الروحي يعتقد أن الخلاص ينتج من التدريب في العقيدة وممارسة الطقوس والفرائض والأعمال الصالحة وهذا خطأ لأن يسوع يقول «ينبغى أن تولد من فوق» ونختم بكلمات بولس «لأن في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة» (غل ٦: ١٥). إذاً لا تطور بل خلق جديد!

الفصل الحادى عشر

لا جديد تحت الشمس

"وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية" (تك ٢:٧)

في الآية السابقة نجد ثلاث حقائق:

* الله خلق الإنسان.
* جسد الإنسان تكوّن من التراب وليس نتيجة تكاثر من جسد آخر.
* حياة الإنسان نتيجة نسمة حياة من روح الله ولم تنتقل من خليقة أخرى.

وكلمة «جبل» في (تك ٢:٧) هى في الأصل تعنى «ضغط داخل الشكل» وهى تترجم طينى أو من التراب كما يُشكل الخزاف الطين ويضغطه، ونفس كلمة «جبل» استخدمت في خلق الطيور والحيوانات حيث قيل «وجبل الرب من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء» (تك ٢:١٩).

تشابه الأجسام

إن مادة جسد آدم تتشابه مع مادة أجسام الطيور والحيوانات، وهذه الأجسام تتشابه طبيعياً وكيماوياً وجسم الإنسان يتكون من نفس العناصر المعدنية المكونة لجسم الخروف أو الخنزير، ولم تبرهن نظرية التطور أن عنصراً تطور إلى الآخر، والحقيقة المؤكدة أن كل الأجسام أُخذت من مصدر أصلى واحد وذات تركيبة واحدة، مثل الطين الذى تصنع منه الأنابيب ويصنع منه الطوب ولم يقل أحد أن الأنابيب تطورت إلى طوب. والتشابه بين الإنسان والحيوانات ليس في التركيب الكيماوى فقط، بل تتشابه في نواحٍ عديدة مثل العيون والآذان والشعر والأعضاء والمعدة والفم والكلى والقلب وهكذا، وهذا التشابه لا يبرهن على صحة نظرية التطور، لكنه يبرهن على أن خالقاً واحداً صنعها من مادة واحدة. وإن كانت محبة العلم في دعم التطور تعتمد على المشابهة الطبيعية والفسيولوچية والتشريحية لتركيب الطيور والحيوانات والإنسان فإن هذا التشابه يبرهن على حكمة الخالق الواحد وليس على التطور.

نعطى الحياة

إن الاختلاف بين الإنسان والحيوان يذهب إلى أبعد من

الاختـلاف الطبيـعى لوجـود البـعـد الروحـى بين الإنسـان والحيـوان، لأن الإنسـان بـدأ روحـيـاً بواسطـة روح اللّه الذى نفخ في الإنسـان نسـمـة حياة فـصار نفسـاً حـيـة (تك ٢:٧). هـذه النسمـة تجعل الإنسـان منفصـلاً عن باقى الخلائق وقد أثبت العلم أن وحـدة الحيـاة للإنسـان لا تسـتطيع أن تنزل إلى أقـل الخـلائق. ومن قـرون عـديدة كان يعتقد أن الحياة يمكن أن تـنتج تلقائيـاً من مادة ميتـة كما نادى أرسطو طاليس بالنشوء الـذاتى أو التوالد الطبيعى. وفي القرن التاسع عشر اكتشف العالم باستير الحقيقة الثابتة التى تبرهن على عدم وجود حياة بدون حياة سابقة، كما ظهرت التـجارب الحديثة لإنتـاج الحيـاة في أنابيب الاختبار من مادة ساكنة.

لا تحويل

عندمـا كـانت فكرة التكاثر الذاتـى أو التلقـائى مـهـملة، زاد الاعـتـقـاد بنظرية التطور من الحيـاة الأدنى إلى الأعلى ويقـول التطوريون إن العـالم العـضـوى يتكون من سلسلة مـتـصلة تبـدأ بخلية واحدة وتنتهى بالإنسـان وأن التغـيير يحدث نتيجة التأقلم وتغـيير الظروف البيئـية والمناخيـة. وكمـثـال لجذب الانتبـاه قـال التطور إن الزرافة التى تعيش في وسط أفريقيا وتعانى من نقص

المواد الغذائية اللازمة لتغذيتها اضطرت للتغذية على أوراق الأشجار وأدى ذلك إلى إطالة رقبتها وأرجلها لتصل إلى أوراق الأشجار، حتى وصلت إلى الوضع الحالى وهذا يرجع إلى الأقلمة الطبيعية. وهى نفس الأسباب التى أدت لاستطالة أقدام طائر الغرنوق وطائر البلشون وبعض الطيور المشابهة خوفاً من أن تفقد هذه الطيور الجميلة ريشها الرطب لكنها لم تصل إلى مستوى الزرافة. ويعتقد داروين أن الانتخاب الطبيعى يحدث نتيجة الأقلمة الحيوية، وهذه النظرية تنكر حقيقة الكتاب المقدس بأن كل جنس كجنسه.

لكن الحقائق الكتابية تكذب نظرية الاختبار الطبيعى أو البقاء للأصلح وتحويل الأجناس، والحقيقة أنه حصل تحسين في طبيعة الأجناس نتيجة التهجين والتكاثر وليس نتيجة للاختيار الطبيعى، والتباين الفائق للأصناف داخل الأجناس ناتج من الزراعة الحديثة والانتخاب والتلقيح بين الأنواع. وعندما تترك هذه الأصناف المتفوقة بدون تحسين مستمر سوف ترجع إلى السلالة الأصلية وبالإهمال تتحول هذه السلالات وترتد إلى سلالات برية. وهذا يُكذب نظرية التطور التى تقول إذا تركت

النباتات والحيوانات للانتخاب الطبيعى سوف تتطور إلى الأحسن منتجة أصناف جديدة.

إن كانت التأثيرات الخارجية هى إحدى التغييرات الطبيعية الأصلية ومع عدم حدوث التربية بين الأنواع المحسنة، فإن هذه الأنواع سترتد إلى حالتها البرية وتفقد طبيعتها وتعود إلى الصورة الأصلية، وهذا يخالف نظرية التطور. وحدث الارتداد إلى الطبيعة مع أصناف الحمام الأليف ومع أربعة آلاف صنف من الورود التى تحولت إلى ورود برية بسيطة. وعلماء الطبيعة يعلمون أن كل أنواع الكلاب من أصغر نوع وهو بيكنجى حتى الكلب الماستيف العملاق له ظهر أسود كالنوع الأصلى مثل الثعلب والذئب وابن آوى.

ولو كانت نظرية التطور صحيحة وكذلك نظرية الأقلمة لمواءمة الظروف البيئية، فيمكن أن نتخيل إنسان المستقبل أنه سيكون مخلوقاً غريباً ومع الانتخاب الطبيعى والتأقلم والتطور المستمر كنا نتوقع مزارعاً أحدب ذا عضلات عظيمة ورأسه كبيرة وعيناه صغيرتان ويعمل بمكتب بدون أرجل ويلعب على البيانو بأصابع عديدة في يديه ويحرس الليل بعيون جاحظة! إن هذه

النظرية المخيفة وصلت إلى عالم اليوم ولكنها لم تستطع تغيير كلمة اللّه وسيبقى الجنس ثابت لا يتغير لأن كل جنس كجنسه.

الخليقة الكاملة

بعد أن انتهى اللّه من عمل الخليقة في نهاية اليوم السادس لم يضف إليها شيئاً آخر لأن عمل اللّه كان كاملاً، وهذا واضح بدون اعتراض كما جاء في (تك ٢:١) «وأكملت السموات والأرض وكل جندها». ومنذ ذلك اليوم لا إضافة لشيء، حيث قال سليمان «لا جديد تحت الشمس». وكل الاكتشافات هى تكرار لبعض أعمال اللّه التى صنعها لأن اللّه قال إن كل شيء قد كمل، فالذرات والعناصر المعروفة للإنسان حالياً خلقها اللّه وأكملها وأظهر اللّه نفسه في الطاقة، والقوة، والحرارة، والحركة والحياة وهذه كلها ثابتة لا تتغير، وطرق التفاعل الكيماوى والتكاثر والنمو والوراثة لم تتغير ولم تتبدل لأن عمل اللّه كان كاملاً ولا يحتاج إلى تكميل. لم يذكر الكتاب أن اللّه بعد اليوم السابع أضاف شيئاً جديداً إلى الخليقة لأن اللّه لم ينس عنصراً واحداً من هذه العناصر ولم يتغاضى أو يهمل ذرة واحدة. هذا هو الفرق بين اللّه والإنسان الذى لم يعمل شيئاً كاملاً لأنه يتغافل

وينسى ويغيِّر ما عمله ويضيف إليه ثم يحذف ويغير ويضيف وهكذا، لأن الإنسان لا يمكنه أبداً تحاشى الأخطاء. وتقدم الإنسان ونجاحه يعتمد على الخطأ والصواب في تجاربه وهو دائماً يطلب التحسين ولا يمكن أبداً الوصول إلى الكمال. لكن ليس هذا مع الله لأن خليقة الله كاملة وتامة لأن الله الذى رأى كل شيء عمله حسن جداً (تك ١:٣١). وهو دليل على العمل التام في المادة والعناصر التى تكونت منها الخليقة، وأيضاً داخل المادة المخلوقة بقوانينها ونظمها وقواعدها، ولا تحتاج إلى إعادة أو تغيير. إن كل قوانين الكيمياء، والطبيعة، والوراثة، والتكاثر، ثابتة وتعمل دائماً بنفس الطريقة تبعاً لأساس ثابت وتحت ظروف ثابتة، كما أن قوانين الجاذبية الأرضية، والتبخير، والتكثيف، والتجميد، والتجاذب، والمغناطيسية، والضغط الأسموزى، والنمو والتمثيل الغذائى للنبات والحيوان، كلها تعمل بدون تغيير منذ بداية الخلق، لأن قانون الخليقة هو «لا جديد تحت الشمس».

هذا قانون ثابت ولا يوجد مَنْ يجرؤ على تقديم الأدلة العلمية التى تبرهن أن أحد الأجناس خالف قوانين الله وأنتج نوعاً

مختلفاً عن جنسه، ونسلاً مختلفاً عن نسله، ولكن يوجد تحسين وتطور داخل الجنس الواحد ولكن الناتج يكون دائماً كجنسه، وكل هذه الخليقة ذكرها الرسول بولس بقوله «لا تضلوا، اللّه لا يشمخ عليه والذى يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً» (غل ٦:٧).

عندما نطبق قوانين الخليقة المادية على الخليقة الجديدة نجد أن الخلاص ليس تحسيناً تدريجياً للخاطىء ليصبح قديساً، لكنه خلق في الحال ولا يحتاج الخلاص إلى أخلاقيات وتهذيب وشهادة عضوية من الكنيسة وممارسة الأعمال الحسنة لأنه لا يوجد في الإنسان شيء حسن كما تقول كلمة اللّه «الرب من السماء أشرف على بنى البشر لينظر هل من فاهم طالب اللّه. الكل زاغوا فسدوا. ليس مَنْ يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (مز ١٤:٢، ٣) لذلك قال الرب يسوع «إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت اللّه» (يو ٣:٣).

الفصل الثانى عشر

كـل كجنسـه

«اللّه القـدير خلق الـكون في البـدء، وكـانت كلـمة اللّه مـؤثرة وفـعـالة لوجـود الكـون، كـمـا يقـول داود «بـكلمـة الرب صنعت السموات وبنسـمـة فـيـه كل جنودها» (مـز ٣٣:٦). وداود يتكلم عن الثالوث الأقدس الآب الذى خلق السموات بواسطة ابنه يسوع المسيح الذى كان قبل تأسيس العالم والذى به صنع العالمين وكل شيء به كان، والروح القدس كان مشاركاً في هذه الخليقة حيث صنعها بنسمة فمه، وكلمة نسمة في الأصل تعنى روح، لكن غرور الإنسان يرفض اللّه خالق الخليقة ويتطاول ويتعدى على اللّه بأسباب كثيرة متنوعة. والكثير من النـاس يقبلون نظرية التطـور والآن نقرأ عن تطور الإنسـان من الخلية الأولية في اثنتى عشرة مجلة علمية، وتحتوى كتب الأطفال على رسوم فنية ورسوم بيانية تصف تاريخ بداية الإنسان من البروتوبلازم البسيط الذى تطور إلى دودة ثم سمكة ثم طيور، ثدييات، قرد وأخيراً إلى إنسـان. وفي كـثـيـر من المدارس تقـبـل نظرية التطور وتُدرس

كحقيقة بينما الكتاب المقدس مستعبد ومحرم، وكل هذا يعتبر تحدياً غير لائق لكلمة الله، وإذا حدث تطور فإنني سألقى بالكتاب المقدس جانباً.

إنسان بيلتداون (PILTDOWN MAN)

بالرغم من كل أخطاء ومغالطات نظرية التطور فإن خدع العلماء موجودة لإثبات هذه النظرية بقطعة من العظام أو الحفريات لتشويه حقائق الكتاب المقدس، ولكن هذه الاكتشافات برهنت على كذب النظرية وتؤدي إلى الضحك والاستهزاء. خذ مثلاً واحداً للسخرية، فقد بحث العلماء أربعين سنة ثم جاءوا بعظم إنسان أطلقوا عليه «إنسان «بلت داون» أو «الإنسان البدائي» أو «إيرانثروباس».. وزعم شارلي داوسون مكتشف الإنسان البدائي أن هذا الإنسان كان موجوداً من ١٠٠,٠٠٠ إلى ٥٠٠,٠٠٠ سنة مضت. أما معهد «سميث سوميان» في واشنطن فقد قال في سخرية أطلق عليها اسم «أضحوكة بلت داون العظيمة» للعالم «د. ونير» أن الفك السفلي والأنياب تشبه تماماً أنياب القرد الحديث، وعن تعمد سقطت الأسنان بواسطة مهرج أو عفريت ليتشابه وذلك الإنسان مع نموذج من

الحفريات، وأمكن تثبيت الأسنان بخشب ملون مع ملح الحديد والبيكربونات، ومع ذلك فقد استطاع العلماء تزوير الحفريات بطريقة سيئة في محاولة لتزييف التاريخ الطبيعي للعظام والحفريات، لذلك لا يوجد مسيحى يؤمن بالكتاب المقدس يرضى أن يعيش في أضحوكة التطور الهزلية، ومن الحكمة أن نقبل كلمة اللّه بالإيمان، وعندما تسألنى من أين جاء اللّه؟ فإننى أجيب ببساطة من أين أتت المادة الأولية؟ لأننا عندما نسأل مَنْ صنع اللّه ومَنْ هو الشخص الذى صنع اللّه؟ نكون قد وصلنا إلى طريق مسدود. وإذا لم تستطيع نظرية التطور الإجابة عن أصل المادة فإنها تسأل عن الوقت ومتى بدأت المادة لكن الإيمان يستقر على (تك ١:١) «في البدء خلق اللّه السموات والأرض».

ما هو الوقت

من الحماقة أن نحاول الوصول إلى بداية الأزل لأن الأزل لا بداية له. ومن الصعب على عقل الإنسان أن يتخيل الماضى السحيق لأنه لا يفهم الوقت فهل سألت نفسك ما هو الوقت؟ الآن فكر لحظة ما هو الوقت؟ ما هو طول الوقت؟ وهل الوقت حقيقى؟ إن عقارب الساعة تحدد الوقت تماماً، لكن بأى وقت تقاس

الأبدية؟ وإذا كنا نسأل عن زمن الخليقة ونحدد الزمن الماضي والحاضر، فدعنا نسأل لماذا يكون عمر الحشرة عدة ساعات بينما عمر القطة من ١٠ ـ ١٥ سنة وبعض الطيور تعيش سنوات قليلة والأسد يعيش ثلاثين عاماً والغراب مائة عام ومتوسط عمر الإنسان ثمانون عاماً؟ ولماذا يكون الوقت تقريبياً وافتراضياً بينما نحدد أعمارنا؟ فالوقت لحظات وكل جزء من اللحظة هو جزء من الوقت، لذلك فإن الوقت قصير وفي منتهى الصغر عندما يقارن بالأزل، والعلماء لا يذكرون شيئاً عن الأزل، وعندما نريد تحديد الوقت والزمن يلزم تحديد الأزل.

إن كل دقة قلب تدخل في الحياة هي لحظة وكومضة من حساب الأزل فكيف تمد يدك لتمسك بهذه اللحظة، وإذا توقفت دقة القلب ففي هذه اللحظة يفشل عمله وتتوقف الحياة ويكون الإنسان في الذاكرة وليس في الوجود، عندئذ ستدق أجراس الكنائس وتأتي الرسائل والتلغرافات ونقرأ في الجرائد أن عزيزاً لدينا قد مات، وهذه لحظة تحدث لكل واحد عاجلاً أم آجلاً، فقد عبر الوقت كنهر يفيض ومحيط بلا قرار أو شواطىء، ويصبح الإنسان أمام الله إلى الأبد. وعندما ينتهي الوقت يموت الإنسان

لأن اللّه يقول «وُضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة» (عب ٩:٢٧)، ويقول سليمان «إن الإنسان ذاهب إلى بيته الأبدى. ويعود التراب إلى الأرض وتعود الروح إلى اللّه الذى أعطاها» (جا ١٢:٥، ٧).

ماذا بعد؟

ماذا بعد الموت؟ ماذا عن المستقبل والأبدية؟ إن عَالم التطور لا يستطيع الإجابة عن هذه الأسئلة، والذى يسأل من أَين أتيت لا يستطيع أن يجيب عن مصير الإنسان وإلى أين يذهب. إن الوقت غير معروف والنهاية أكيدة وماذا عن الأبدية وكيف نواجه المستقبل الأبدى؟ والإنسان لا يستطيع الإجابة عن هذه الأسئلة، والكتاب المقدس هو الوحيد الذى يجيب عن كل هذه التساؤلات ويخبر عن موت الإنسان ودينونته لأن اللّه هو الألف والياء البداية والنهاية الأول والآخر» (رؤ ٢٢:١٣).

نهاية التطور

إن كلمة اللّه تعترض طريق الكفر والإلحاد، وقد أعلن يسوع الحقيقة لكل الذين لا يؤمنون به وقال لهم «الذى يؤمن به لا يُدان ومَنْ لا يؤمن به فقد دين لأنه لم يؤمن باسم ابنه الوحيد» (يو

١٨:٣) ولا تستطيع أن تؤمن بيسوع المسيح إذا أنكرت حقيقة (تك ١:١) وأن اللّه خلق الإنسان على صورته؛ وذكر يسوع هذه الحقيقة وقال «أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى» (مت ١٩:٤) وأيضاً «لأنه من بدء الخليقة ذكراً وأنثى خلقهما اللّه» (مر ١٠:٦). ومَنْ لا يعترف بأقوال يسوع لا يعترف بخطة اللّه لفداء الإنسان وخلاصه.

ورغم النقد والسخرية للكتاب المقدس لكنه يؤكد على نهاية الإنسان ودينونته إذا لم يؤمن باللّه. لقد خلق اللّه الإنسان على صورته لكن نظرية التطور تجعل الإنسان شبيهاً بالحيوانات في الإثم والسادية والجنس والشهوة البهيمية، ويفقد الإنسان شعوره الإيجابى نحو اللّه. وعندما سقط في الخطية أعلن اللّه أن الإنسان يحتاج إلى المخلِّص يسوع المسيح ابن اللّه ويوجد للإنسان رجاء بخلاص يسوع المسيح ابن الإنسان.

لقد خدع الشيطان الشباب وجعلهم يحيدون عن الكتاب المقدس ويؤمنون بالتطور ذاهبين وراء حيل الشيطان الكاذبة وينخدعون كما خدعت الحية القديمة حواء، يوجد نقص في الشجاعة عند المؤمنين لمواجهة انحراف الشباب وتكذيب الشيطان، وللأسف إن بعض الوعاظ استخدموا منابرهم لانتشار

الخطأ عن طريق الخطابة والوعظ، وعندما نسكت عن مواجهة هذه البدع سوف يجد الضلال قبولاً واسعاً، وأحياناً نصمت لأننا لا نعرف كلمة الله معرفة كاملة، وهذا خطأ لا عذر فيه. دعنا نقول للشباب إن تطور الإنسان من الحيوانات الأقل هو كفر وإلحاد، ولكن كلمة الله هي الحق وتعاليمه لا تحتاج إلى دفاعيات. إن المدارس الحديثة تتكلم عن انحدار الإنسان من الشمبانزي، ومَنْ يكون أكثر كرم وسخاء الشمبانزي الذي تحول إلى إنسان أم الله الذي خلق الإنسان؟ وقبل أن تفكر في الماضي وكيف بدأت الحياة فكر في مصيرك الأبدي، وإذا كنت تنكر حقائق سفر التكوين فإنك لا تستطيع أن تتخلص حيث قال يسوع «لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني» (يو ٥:٤٦) وإذا لم تؤمن بكتابات موسى فكيف تؤمن بأقوال يسوع؟

الفصل الثالث عشر

الخليقتـــان

"لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة" (غل ٦:‏١٥).

المؤمن يحيا خليقة جديدة، وكلمة خليقة المستعملة في خلق الكون هى نفسها المستعملة في الولادة الجديدة التى تغير الخاطئ إلى مؤمن، والمعروف في سفر التكوين عن أصل الخليقة هو ظل وصورة حقيقية للخليقة التى تغير الخاطئ إلى مؤمن، والمدون في سفر التكوين عن أصل الخليقة هو ظل وصورة حقيقية للخليقة الروحية والولادة الجديدة ونمو المؤمن. والكتاب المقدس مكتوب لإعلان خطة اللّه للفداء ويسجل أعظم حدث وهدف بإعلانه عن يسوع المسيح مخلّص العالم. وهذه حقيقة أسفار الكتاب المقدس الذى يبدأ بالحقيقة الأولى «في البدء خلق اللّه السموات والأرض». هذه الافتتاحية هى مدخل ومقدمة لإعلان الروح القدس عن الخليقة الجديدة، والكتاب المقدس لا يُعلّم

درساً روحياً عن أصل الخليقة بل عن العمل المعجزى لخليقة اللّه الجديدة.

لم تكتب قصة الخليقة لتشبع فضول الإنسان أو تفسر له عن أصل الكون، ولكن اللّه أظهر تفاصيل الخليقة وتكوينها، حتى لا نجهل الدرس الروحى وهو فداء الإنسان وخلاصه، وكل شيء غير ذلك الهدف يعتبر ثانوياً فقد قال يسوع «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله». وماذا ينتفع الإنسان إذا كانت له معرفة كاملة عن أصل الكون ولم تكن له معرفة بمصيره الأبدى وإذا أهمل خلاصه سوف يخسر نفسه.

الكتاب يصمت

يصمت الكتاب أمام تفاصيل أصل الخليقة، ولكنه يكرر كلمة خَلَق التى تعطى معنى واضحاً لإعلان الخليقة الجديدة، لكن الإنسان يرغب الرجوع إلى الماضى ويهمل معرفة المستقبل الأبدى ويرفض الحديث عن التعاليم الروحية وخلاصه والاهتمام بالمصير الأبدى. لقد أعطى اللّه للإنسان وقتاً ليفكر في المستقبل وفي حياته الأبدية بدلاً من الموت الأبدى نتيجة الخطية واللعنة، وعلى الخاطىء أن يفهم طبيعته كما كانت الأرض خربة وخالية وعلى

وجه الغمر ظلمة. إن هذا الإنسان الطبيعي لم يجرح ليحتاج إلى طبيب ولم يمرض ليحتاج إلى دواء، لكنه خاطيء يحتاج إلى فداء الله وخلاصه لأن الخاطيء ضل طريقه وانفصل عن الله ومات ولا تنفع معه أية محاولة أو مساعدة لإصلاحه. والخاطيء بدون المسيح في دمار وخراب تام ولا يستطيع عمل شيء ليرضى الله كما يقول الكتاب:

«بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه» (عب ١١:٦).

«الجسد لا يستطيع أن يرضى الله» (رو ٨:٨).

«كثوب عدة كل أعمال برنا» (إش ٦٤:٦).

لقد رسمت الخطية للإنسان صورته وحياته مثل الأرض الخربة والظلام (تك ١:١)، ولكن الإنسان الطبيعي يحافظ على كرامته ورضا الناس عنه وهو ساقط في الخطية، ولو لم تكن هناك قوة خفية تعمل من أجل الإنسان، لتقيمه من الموت لمات إلى الأبد. إن الأرض كانت ميتة لأنها تحت لعنة الله وكانت بلا حياة وخربة وخالية وبلا نور، وهكذا حياة الخاطيء، لا يستطيع أن يعمل شيئاً أمام الله ولا يقدر أن يرفع أصغر أصابعه لمواجهة خلاصه، ولو ظن الخاطيء أنه يملك في نفسه أعمالاً صالحة فهذه الأعمال

لا يقبلها الله لخلاص الخاطىء ولا تستطيع هذه الأعمال أن تخلصه، ولكن الكتاب المقدس يُلقي الضوء على أولى خطوات الخلاص وهى عمل الروح القدس لتبكيت الخاطىء كما قال يسوع «متى جاء ذاك (الروح القدس) يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة» (يو ١٦:٨)، وكلمة يبكت بمعنى يدين أو يحكم عليه، وفي قاموس وبستر تعنى كلمة يبكت «إعلان الذنب والإثم»، وهذا ما يعمله الروح القدس، والخاطىء الذى يرفض تلك الحقائق سيظل ضالاً ومفقوداً، وليس بغريب عندما نرنم هذه الترنيمة:

لا شىء أحضره في يدى   لكننى آتى إلى الصليب ببساطة

خلق الله الخليقة بنفسه من العدم ولم يكن أحد معه، لأن كل العمل لله. لقد أعاد الله الحياة للخليقة التى دُمرت بفعل الشيطان، ومنذ أن سقط الإنسان في الخطية صار مشابهاً لحالة الأرض القديمة حيث كان خرباً (بلا ثمر) وخالياً (ليس فيه استحقاق) وتحت الظلام (أعمى بسبب الخطية) وأصبح في دمار تام وخراب كامل، ثم بدأ الله في العمل حيث بدأ روحه يرف على هذه الكلمة الميتة كما قال «وكان روح الله يرف على وجه المياه» (تك ١:٢).

عندما يتجاوب الخاطىء مع تبكيت روح الله سيستيقظ ويعترف بخطاياه واحتياجه للخلاص، ثم يظهر النور الذى يكشف للخاطىء حياته وحالته أنه مثل الأرض التى كانت خربة وخالية تحت الظلام، وكانت الأرض غير مرئية ومخفية تحت ظلمة شديدة، لكن الله قال «ليكن نور». إن حالة الأرض القديمة تسير متوازية مع حياة الخاطىء الذى يحتاج أولاً إلى تبكيت روح الله بإعلان نور كلمته للنفس الضائعة التى تستحق العقاب وتقع تحت الدينونة، والتبكيت لا يُحدث تأثيراً مرئياً أو أدلة مادية ولكنه أمر ضرورى ومطلق وإن لم يقبل الخاطىء تبكيت روح الله فإنه يموت في خطيته.

حبة الحنطة

في إنجيل يوحنا الأصحاح الثانى عشر وضع يسوع أساس الخلاص أمام اليونانيين الذين جاءوا ليسألوا «نريد أن نرى يسوع» وأجاب الرب «إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهى تبقى وحدها ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير» (يو ١٢:٢٤). إن التفسير الأولى لتلك الآية أن المسيح يموت على الصليب لأنه المخلّص، ولكن يمكن أن يطبق ذلك على الخاطىء

الذى يجب أن يموت لنفسه وذاته أولاً ثم يقبل الحياة، وعندما يطلب الخاطىء رحمة اللّه وبواسطة نور كلمة اللّه وعمل الروح القدس سينال الخلاص ويبدأ في عمل الصلاح حتي يوم يسوع المسيح. والخلاص هو الخطوة الأولى في حياة المؤمن ثم يأتى بعد ذلك الانتصار الدائم بالمسيح والنمو في النعمة وتحسين الحياة الروحية والسلوك في القداسة العملية، وهذا واضح في سبعة أيام الخليقة والتى تطبق عملياً على حياة المؤمن المولود روحياً ليصبح كاملاً في المسيح كما يلى:

١ ـ اليوم الأول : يبدأ بعمل الروح القدس للتبكيت والتغيير وإعلان النور.

٢ ـ اليوم الثانى : فصل المياه عن الأرض والمياه التى فوق الأرض وهى صورة لانفصال سلوك المؤمن عن العالم.

٣ ـ اليوم الثالث : خلق النباتات والأشجار المثمرة على الأرض، صورة لحياة المؤمن المثمرة كدليل عن الحياة الجديدة.

٤ ـ اليوم الرابع : خلق الشمس والقمر والنجوم وحاملات النور، صورة للشهادة الساطعة عن المسيح.

٥ ـ اليوم الخامس : خلق الأسماك والطيور، صورة للحياة المنتصرة في المسيح.

٦ ـ اليوم السادس : خلق الحيوانات والإنسان صورة للخدمة وتشكيل المؤمن ليكون مشابهاً للّه.

٧ ـ اليوم السابع : كمال الخليقة والراحة والسلام وهو الهدف الأبدى للخليقة الجديدة.

راجع هذه الأيام السبعة وترتيبها وطبِّقها على نفسك إذا كنت في المسيح لكى تتقدم وتنمو روحياً. أما إذا كنت خاطئاً تعيش في ظلام الخطية وتموت تحت الدينونة وتشعر بتبكيت روح اللّه وإن حياتك ضائعة، افتح قلبك لروح اللّه واقبل دعوة اللّه المخلِّصة عندما يقول «ليكن نور»، إنه أمر بسيط للخلاصك وعليك أن تقبله، لأن اللّه عمل كل شيء (يو ٣:١٦) ولك الفرصة الآن (يو ١:١٢).

الفصل الرابع عشر

اخرج من وسطهم

ونحن ندرس كلمة الله يجب على المؤمن أن يعرف تعاليم الكتاب السامية وتطبيق هذه التعاليم على حياته الروحية بكل تقوى وورع. وعندما تكون في معرفة كاملة للفهم الروحى نستطيع أن نميز الأمور الروحية ويصبح لدينا الإجابة الكافية والأدلة الدامغة للرد على تساؤلات الآخرين عن الخليقة وأصل الكون، ويسير المؤمن وعيناه مفتوحتان على كلمة الله وعلى كل ما يجرى حوله ولا يدور في حلقة مفرغة لأسئلة طويلة تنتهى بدون فائدة.

لقد أدرك المؤمن أن الله خلق هذا العالم الجميل بمقاييس إلهية دقيقة ووضع على الأرض القارات، والمحيطات، والبحار، والجزر والجبال وكل ما على الأرض بخبرة ومعرفة إلهية، وربط الخليقة بعضها مع بعض بما في ذلك مياه البحار العميقة الزرقاء والقارات بأراضيها المرتفعة والجبال التى تتغطى بالثلوج البيضاء، والأبراج الشامخة العالية وكل البحيرات والأنهار

العذبة، ووضع الجبال على الأرض بميول ودرجات دقيقة، إنه عمل ثمين وذو فن رائع، فالخليقة المادية والخليقة الروحية كلاهما من عمل الله لأن الخليقة المادية هى صورة كاملة للخليقة الجديدة الكاملة للإنسان الذى خدعه الشيطان وتركه في خطاياه وطُرد من جنة عدن إلى اليوم الذى فيه تكلم الله وأعلن خلاصه للخاطىء الميت العاجز عن خلاص نفسه. إن الخاطىء ميت غير قادر على مواجهة الحقيقة حتى يبدأ عمل روح الله الذى كان يرف على وجه الغمر فيحدث الدفء ويصهر الجليد ويُقنع الخاطىء بحاجته للمخلِّص والخلاص، وقد دبر الله وقت الخلاص لكى يأتى الخاطىء إلى الله ويعترف بخطاياه فيخلص وينال الحياة الجديدة ويصبح خليقة جديدة.

لقد تعلمت الكثير عن محبة الله للعالم وموت المسيح لكن كنت أنتقد الآخرين وأتهمهم بعدم المعرفة لأن واحداً مات من أجل الجميع. وفي يوم ما انزعجت واضطربت عندما تذكرت نهاية حياتى وفي سن الحادية والثلاثين عاماً سمعت كلمة الله تقول لى «ليكن نور فكان نور» وسمعت هذه الكلمات مرات ومرات، وذات يوم كان روح الله يرف علىّ ويبكتنى وسمعت الصوت

أيضاً «ليكن نور» وعندما خضعت لتبكيت روح اللّه، اختفت الظلمة وظهر النور في حياتي لأول مرة ورأيت من خلال كلمة اللّه أن خطاياى غُفرت بدم المسيح وموته على الصليب وبدأت أرنم من كل قلبى ولأول مرة في حياتي:

ما أسعد اليوم الذى تم اختيارى

أنت مخلصى وإلهى

لقد أشرق الفرح في قلبى

وعم الفرح والسرور في حياتى

عمل عظيم، عمل عظيم غيرنى

أنا لربى وربى لى

هو جذبنى وأنا أتبعه

سحرنى صوته الإلهى

ما أسعد اليوم، ما أسعد اليوم عندما غسلنى يسوع من خطاياى

وعلمنى كيف أسهر وأصلى

وأعيش فرحاً كل يوم

ما أسعد اليوم، ما أسعد اليوم عندما غسلنى يسوع من خطاياى

هذا هو عمل النعمة والولادة الجديدة بكلمة اللّه كما قال الرسول بطرس «مولودين ثانية، لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة اللّه الباقية إلى الأبد» (١بط ١:٢٣). وأنت تخلص فقط بقبول وعد اللّه بالإيمان، ثم تأتى أعمالك الحسنة كنتيجة لإيمانك كما يقول يوحنا «مَنْ يؤمن بابن اللّه (كلمة اللّه) فعنده الشهادة في نفسه... وهذه هى الشهادة أن اللّه أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هى في ابنه» (١يو ٥: ١٠، ١١).

اليوم الثانى

كثير من المسيحيين الذين خلصوا بالإيمان اكتفوا بالخلاص، لكن هذا الخلاص هو نقطة البداية لحياة نامية، ففى اليوم الأول خلصنا بالنعمة والخطوة التالية للمؤمن هى الانفصال كما نقرأ: «وقال اللّه ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصلاً بين مياه ومياه. فعمل اللّه الجلد وفصل بين المياه التى تحت الجلد والمياه التى فوق الجلد وكان صباح وكان مساء يوماً ثانياً» (تك ١:٦ ـ ٨).

اليوم الثانى هو يوم الانفصال، وبينما نسمع عن التكامل والوحدة في هذه الأيام تعلمنا كلمة اللّه ضرورة الانفصال عن

العالم، وقد تسمع قليلاً عن الانفصال لكنه واضح ومدون في كلمة الله كما يقول بولس الرسول «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس... اهتموا بما فوق لا بما على الأرض» (١كو ٣:١، ٢). «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا...» (رو ١٢:١، ٢).

هذا الانفصال ضروري لربح النفوس لأن الخاطيء ينظر إلى المؤمن ليكون مؤمناً، وعندما يبصر المؤمنين ويرى أن حياتهم شبيهة بالعالم وموضة العالم وكلامهم وأعمالهم عالمية، يكون من الصعب ربح النفوس للمسيح، كما أن بعض المؤمنين يعتقدون أن العلاقات الاجتماعية والرياضة الجماعية في الأندية والتدخين والاشتراك في صالونات القصص والروايات تساعد على ربح نفوس للمسيح! إن العالم يريد أن يرى المسيح فينا ويطلب منا الكثير الذي يدل على إيماننا ولا تنس أن العالم يحكم على مسيحيتنا وإيماننا.

أحد الشباب المحبوبين تغيرت حياته في إحدى الاجتماعات الروحية ولم تكن عنده خلفية عن الحياة الروحية المنفصلة ولم

يتعلم شيئاً عن الانفصال عن العالم، وكان يذهب كعادته إلى النادى الاجتماعى، وكان معظم رواد النادى يلعبون الورق والقمار، ويشربون الخمر ،ويتسامرون بالقصص المختلفة، وعندما تغير ذلك الشباب واسمه «چو» ذهب إلى النادى ورحب به أصدقاؤه، وقال أحد الأصدقاء: «چو أنا مسرور لرؤيتك، وأنا أسمع عنك وعن ظروفك»، فقال چو «ماذا تسمع؟» فقال له صديقة «أنا سمعت أنك حضرت الاجتماعات الروحية وتغيرت وأصبحت مؤمناً ونحن سعداء بذلك فهل هذا صحيح؟». صمت چو برهة ثم قال «هذا حقيقى أنا حضرت الاجتماعات الانتعاشية وخلُصت وتغيَّرت». قال له صديقه «إذا كنت تقول إنك تغيرت فلماذا تأتى إلى هنا كل ليلة؟».

صديقى هل تعلم أن العالم يعرف أنك مؤمن؟ فهل تعمل حساباً لعلاقتك مع عملك ومجتمعك؟ إن شهادتك ليست في الاجتماعات الروحية أو اجتماعات الصلاة وحضورك الكنيسة، لكن ما هى علاقتك مع الخطاة عندما تكون معهم في وسط هذا العالم؟

الفصل الخامس عشر

وُلدت للتكاثر

"وقال اللّه لتجتمع المياه تحت السماء... ولتظهر اليابسة، وقال اللّه لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه.... ورأى اللّه ذلك أنه حسن وكان مساء وكان صباح يوماً ثالثاً" (تك ١:٩ ـ ١٣)

في اليوم الثالث ظهرت اليابسة وعليها ظهرت الأعشاب والأشجار التى تحمل في داخلها ثمار، لتخرج هذه الثمار في الوقت المناسب. ويسمى اليوم الثالث بيوم حمل الثمار كما قال اللّه لهذه النباتات أن تصنع بزراً كل كجنسه. وهذه الثمار دليل خلاص المؤمن وانفصاله عن العالم. إن ثمار المؤمن كثيرة كما قال بولس «لأن ثمر الروح هو محبة فرح سلام، طول أناة لطف صلاح، إيمان وداعة تعفف» (غل ٥:٢٢) وثمار المؤمن أكثر من تلك، إن قوانين ونظم اللّه للأعشاب والأشجار ليبزر كل منها

بزراً كجنسه، ولا تستطيع هذه النباتات كسر هذه القوانين الإلهية، لأن قانون الله هو أن ينتج كل جنس كجنسه ولا تحويل ولا تغيير بين الأجناس.

في الروحيات

قانون الله للتكاثر قانون يطبق على الإنسان، فالآباء الملونون لا يلدون ذرية بيضاء، ولا الخطاة يلدون قديسين، فالثمار من أصل الشجرة كما قال يسوع «المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح»، فثمار المؤمن تكون ولادة مؤمنين روحيين مثله، لأننا نحن آباء وأمهات مؤمنون لنربح نفوساً للمسيح، كما قال سليمان «لأن ثمر البر شجرة حياة ورابح النفوس حكيم» (أم ١١ : ٣٠). إن بذار الشجرة داخلها لتنتج شجرة أخرى مثلها، وقد أعطى الله أوامره بالتكاثر حتى لا تبقى الخليقة عقيمة بدون تكاثر، ففي داخل كل نبات أو حيوان أو طفل توجد بذرة لخلود الأجناس، وكل هذه الأجناس مطيعة لأوامر الله لتتكاثر كل جنس كجنسه، فالأعشاب تنتج بذارها التي تتطاير بواسطة الريح عبر الحقول وتنتشر بذارها لتُحمل بعيداً وتُزرع وتطيع أوامر وقوانين الله لتتكاثر وتنتج بذراً كجنسها؛ وكذلك الطيور لا تستطيع

التمرد والعصيان على قوانين اللّه. وعندما يأتي الربيع تبني الطيور أوكارها وتضع بيضها ليفقس كجنسها وكذلك الحيوانات والإنسان تتكاثر حسب قوانين اللّه لتحافظ على أجناسها.

اليوم الرابع

إذا كنت تريد ربح النفوس فإنك سوف تشهد عن الرب يسوع المسيح وهذا هو اليوم الرابع للخليقة كما يقول الكتاب «وقال اللّه لتكن أنوار في جلد السماء... لتضيء على الأرض» (تك ١٤:١ ـ ١٧). يتكلم اليوم الرابع عن حامل النور أو الشهادة، ويقول دانيال «والفاهمون يضيئون كضياء الجلد والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور» (دا ١٢ ٣:). المؤمنون كواكب تضيء في هذا العالم. لقد جاء يسوع شمس البر إلى هذا العالم لتمتلىء الأرض من مجده وهو الآن في السماء مصدر النور الحقيقي في ليل هذا العالم. ويوجد القمر والنجوم والكواكب التي تنير على الأرض والكنيسة على الأرض كالقمر تعكس نور شمس البر والمؤمنون كنجوم فردية تضيء في الليل.

إن الوصف التام لمركز المؤمن في المسيح وسلوكه على الأرض معلن في اليوم الرابع للخليقة. يقول كل نجم: «أنا وجدت في

السماء لأنير على الأرض». وهذا وضع كل مؤمن في المسيح لأننا جلسنا معه في السموات كما يقول بولس «... الله أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم مخلصون. وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع» (أف ٢: ٥، ٦)، والكنيسة كما يقول بولس إنها جسد المسيح وأعضاء المسيح، والمركز الحالى للكنيسة أنها جلست مع المسيح، وفي المسيح يرانا الآب كنجوم وكواكب الله تضيء من السموات وتسطع على الأرض.

اسطع على الأرض

لقد وجدت الكواكب في السماويات لتسطع وتنير الأرض كما جاء في (تك ١: ١٥ ، دا ١٢: ٣)، والمؤمنون هم كواكب جالسون في السموات ليضيئوا على الأرض. نحن الآن في السماويات في المسيح، رغم أننا نسير على هذه الأرض وينبغى أن نضيء بين الناس في هذا العالم المظلم ونخبر كل مَنْ يسألنا عن سبب الرجاء فقد قال يسوع «مادمت في هذا العالم فأنا نور العالم» (يو ٩: ٥) ولكن هذا النور صعد إلى السماء والناس لا يرونه الآن على الأرض وقبل أن يترك المسيح هذا العالم أعطى هذا النور للمؤمنين ليرى العالم نور المسيح فيهم كما قال لنا

«أنتم نور العالم...» (مت ٥: ١٤ ـ ١٦). إنه عمل عظيم يعمله الله بنا في عالم ضائع في الخطية والظلام، يعيش بلا نور حقيقي، لذا جعل يسوع المؤمنين أنواراً في ليل مظلم بينما شمس البر في السماء، وأمرنا أن نسطع وننير. إن ارتباط العالم بالجحيم يزداد يوماً فيوماً وعلينا أن نصلي ونخدم لكي تصل رسالة نور الإنجيل إلى كل العالم، ويجب أن يسطع نورك بواسطة الأعمال الحسنة وتشهد للناس رجالاً ونساءً عن المسيح، وإن لم تستطع أن تعظ نفسك لا تقدر أن تعظ الآخرين، ولكن عندما نكون أنواراً يمكن مساعدة أولئك الذين يبثون كلمة الله عبر الراديو ووسائل الإعلام المرئية. أنت الآن كمؤمن جالس في السماويات في المسيح وأنت كامل فيه ويجب أن تفكر وتجتهد حتى يسطع نورك في مئات الطرق المظلمة وتتذكر ما قاله الرب لتلاميذه «أنتم نور العالم... فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى في السموات» (مت ٥: ١٤ ـ ١٦).

الفصل السادس عشر

حيـاة الانتصـار

"وقال اللّٰه لتفض المياه زحافات... وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء.. وباركها اللّٰه قائلاً أثمرى واكثرى... وكان مساء وكان صباح يوماً خامساً" (تك ١: ٢٠ ـ ٢٣).

المؤمن المولود من الروح تعلم الانفصال عن العالم لكى يصبح مثمراً وينتج ثمراً كجنسه ويربح نفوس للمسيح ثم يسطع نوراً في هذا العالم مثل الكواكب الموجودة في السماويات. هذا المؤمن يحتاج إلى الانتصار المطلق على العالم والخطية، وهذا هو هدف اللّٰه من المؤمن. إن كثيرين من المؤمنين يعيشون في هزيمة وقلق وضعف وصراع، يوم في الارتفاع ويوم في الانحدار بدلاً من التحليق الدائم في الفضاء الروحى والانتصار في المسيح مثل الطيور التى تتغلب على الجاذبية الأرضية وتحلق وتتنفس الأوزون النقى من الجلد بعيداً عن ضوضاء واضطراب هذه الأرض القديمة.

كثيرون يفكرون أن الهدف من خلاص الله هو انقاذهم من الجحيم الأبدى وذهابهم إلى السماء، وهذا هدف محدد في خطة الله للخلاص، لكن هدف المسيحى هو الانتصار والنمو في النعمة حتى نكون أعلى من كل ظروف الحياة كالطيور التى تتحدى قوة الجاذبية الأرضية وترتفع بأجنحة الإيمان إلى السماويات.

اليوم الخامس للخليقة

إن اليوم الخامس للخليقة يعلمنا أن نعيش حياة الانتصار، ففى هذا اليوم خلق الله الأسماك والطيور وهما جنسان من أجناس خليقة الله العجيبة. الأسماك لها قوة أن تتحدى الطبيعة وتغطس وتغوص داخل أعماق البحر؛ وعند ضغط المياه تقدر الأسماك أن تدفع أى حيوان مائى آخر ثم تطفو على السطح لتستريح بواسطة ضبط الكيس الهوائى وضغط الخلايا. إن الأسماك تتحدى ضغط المادة وتهزم قوة الموت في أعماق المياه. أما الطيور فقد خُلقت من عناصر أخف من الهواء، وعندما تحاول الجاذبية الأرضية أن تشدها إلى الأرض، يمكن للطائر أن يتخطى هذه الجاذبية وينتصر لأنه يملك قوة أخرى غير مرئية يستطيع بها أن يرتفع فوق هذه الجاذبية ويحلق في السماء. هذه القوة هى

الهواء، وكل طير يحتاج أن يفرد جناحيه ويتحدى الرياح بحركته ويرتفع بعيداً عن الأرض. ولا يستطيع الطائر أن يطير بدون الرياح التى تدفعه، ولا يستطيع الطائر أن يطير برجليه بل بقوة الرياح التى تحت جناحيه وهكذا يفقد ارتباطه بالأرض. واليوم الذى لا توجد فيه رياح يرفرف الطير بجناحيه ليصنع رياحاً تساعده على الطيران وعندما يتعب الطائر يحط على الأرض ثانية، لكن اليوم الذى يوجد فيه رياح كل شىء يتغير. إن الطائر الذى يفرد جناحيه ويتجاوب مع الريح يستطيع أن يحلق بعيداً. والنسور الجارحة تحلق ساعات في السماء بدون تحريك الريش لوجود الرياح الكافية للطيران، ونفس الشىء يطبق على الطائرة التى تنتج الرياح بواسطة المراوح السريعة التى تدفع الهواء بقوة ترفع الطائرة عن الأرض إلى الفضاء وعندما يوجد هواء كاف تبقى الطائرة مرتفعة لمدة عدة ساعات بدون القوة الميكانيكية لوجود الرياح الكافية.

الريح والروح

في العهد القديم توجد كلمات متشابهة في اللفظ والمعنى، ففى العبرية تترجم كلمة «روش» إلى ريح وتترجم نفس الكلمة

إلى روح، أما في العهد الجديد فإن المعنى واحد لأن كلمة «إبنڤما» في اليونانية تترجم إلى ريح وروح وهى تشير إلى حركة الهواء والريح، وللإيضاح قال يسوع «الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتى ولا إلى أين تذهب. هكذا كل مَنْ وُلد من الروح (يو ٣:٨)، ففى بداية الآية تترجم كلمة «إبنڤما» إلى ريح وفي نهاية الآية تُرجمت نفس الكلمة إلى روح؛ وقد يُقرأ العدد هكذا «الروح يهب حيث يشاء وأنت لا تسمع ولا تعرف من أين يأتى أو إلى أين يذهب هكذا كل مَنْ وُلد من الروح».

نقرأ في سفر الأعمال «وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا مجتمعين» (أع ٢:٢) والكلمة «إبنڤما» المترجمة ريح هى أيضاً تترجم روح ويمكن قراءة الآية «وصار صوت هبوب كما من روح وملأ كل البيت». والروح هو الذى ملأ كل البيت وليس الريح، والروح هو الروح القدس مثل الريح الذى يحتاجه الطائر، وهو الروح الذى يعطى النصرة على قوة الطبيعة القديمة التى تحاول أن تسحب المؤمن إلى الأرض، ولكن بالإيمان نحصل على الريح

السماوية وقوة الروح القدس السماوى الذى يحملنا إلى حياة الانتصار العلوية.

إن الرياح القليلة مع كثرة حركة الطير تجعل الطائر يتعب ويتوقف عن الطيران ولكن كثرة الرياح مع قلة الحركة تؤدى إلى ارتفاع الطائر. والآن آلاف الكنائس تحتاج أن تتعلم هذا الدرس، إننا في حاجة لقوة الروح القدس والإقلال من الاعتماد على الطرق الجسدية لربح النفوس. نحن نريد الحفاظ على شعب الكنيسة لكن بدون برنامج لدراسة الكتاب المقدس ونعمل من أجل ملء الاجتماعات بالوسائل الاجتماعية والصور المتحركة وحفلات الشاى ومعارض الملابس الرخيصة الثمن وحفلات أولياء الأمور بدون عمل روح اللّه. انظر إلى البرامج الأسبوعية وإلى الأنشطة التى أصبحت روتينية ولا تأتى بثمر. لكن دع الروح القدس يعمل في الاجتماعات وسترى أن قلة المجهودات البشرية مع وفرة وملء الروح القدس يؤدى إلى ثمر وفير وسيقود الروح القدس الكثيرين للعمل والنشاط وسوف تقل المجالس والهيئات الكنسية والتعقيدات الإدارية والبرامج الجافة عند كثرة الرياح وسيأتى الانتصار.

الشخصية الذاتية

إن حقيقة الصراعات بين الهيئات والمجموعات هى صراعات جسدية لإظهار الذات وهذه الصراعات بعيدة عن عمل الروح القدس، لذلك قال بولس «اسلكوا بالروح ولا تكملوا شهوة الجسد» (غل ٥:١٦). هل لك حياة القيامة المنتصرة مثل الطائر الذى يرتفع فوق ظروف الحياة؟ إن لم تكن لك هذه الحياة ارجع إلى المسيح ودعه يسود عليك. لقد صرخ بولس قائلاً «ويحى أنا الإنسان الشقى مَنْ ينقذنى من جسد هذا الموت» (رو ٧:٢٤) ولكن أجاب بولس بقوله «أشكر الله بربنا يسوع المسيح» (رو ٧:٢٥)، انصت أيضاً إلى بولس وهو يقول «قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله» (رو ٦:١٣).

لقد تعلمت أن الحركة المعتمدة على قوة الروح القدس ترفع المؤمن إلى أعلى سحب السموات العليا بعيداً عن صراخ الطيور وثرثرة السنجاب وتعلمت أن أصلى قائلاً «يا إلهى في اسم يسوع المسيح أنا أريد أن أناضل وأكافح وأقبل التحدى وأريد أن أكون قادراً على التحليق فوق كل شىء لأننى لا أريد أن أسكن حيث الأمور الصغيرة في الحياة وبين مضايقات الناس، عندئذ

تأتى كلمات الرب بصوته اللطيف مثل جرس في سكون الليل «سلم للرب طريقك واتكل عليه وهو يجرى. انتظر الرب واصبر له ولا تغر.... » (مز ٣٧: ٥، ٧)؛ وأيضاً «لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتُعلم طلباتكم لدى اللّه وسلام اللّه الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع» (فى ٤: ٦، ٧).

عزيزى المؤمن، لك انتصار إذا سلمت نفسك تماماً للمسيح مثل النسر الذى يتكل على الرياح ويستعد للطيران فهل تريد هذا الانتصار؟ أينما كنت، اعترف بأنك لا تستطيع التحليق معتمداً على مجهوداتك وثق في كلمة اللّه واتكل على قوة الروح القدس، وكما كان روح اللّه يرف على النفس لتغييرها قبل الولادة الجديدة كذلك روح اللّه يعمل داخل نفسك حتى تتمتع بالانتصار.

الفصل السابع عشر

صورة الله

كانت الخليقة المادية صورة حية للخليقة الجديدة وكل الأحداث تسير معاً متوازية، وكان الله قبل الخليقة لأنه قبل البدء وخلق كل شيء من العدم لأنه الله القادر على كل شيء وهو القدير ذو السيادة المطلقة، وكلمة خلق في العبرية هى «بارا» وهى تعنى خلق كل شيء بدون وجود المادة وهذا يؤكد أن الله خلق كل الأشياء من العدم.

ولكى يخلق الله الخليقة الجديدة لم يستعمل أى مادة موجودة من قبل فهو بدأ من لا شيء ولم يكن الله محتاجاً لمساعدة أحد، وإذا أراد الخاطىء أن يصبح خليقة جديدة عليه أن يعترف بأنه لا شيء ويتخلى عن كل ما هو حسن في حياته، ويأتى إلى الله كما هو لأن خلاص الله بالنعمة وليس بالأعمال كما يقول بولس «ليس من أعمال... بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس...» (تى ٣:٥).

«وأما الذى لا يعمل ولكنه يؤمن بمَنْ يُبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً» (رو ٤: ٥).

إن الخليقة الجديدة ليست إعادة ولادة لكنها ولادة ثانية جديدة، وهى ليست رجلاً قديماً يمكن إعادة صنعه أو إصلاحه بل طبيعة جديدة تحل داخل المؤمن وتفصله تماماً عن طبيعة آدم القديم، وهذا العمل يعمله اللّه بنفسه ولا يتدخل فيه أحد غيره.

الكل بكلمة اللّه

الخليقتان القديمة والجديدة خُلقتا بكلمة اللّه كما يقول كاتب المزامير «بكلمة اللّه صُنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها» (مز ٣٣: ٦) ويقول كاتب العبرانيين «بالإيمان نفهم أن الخليقة أُتقنت بكلمة اللّه (عب ١١: ٣)، ويضيف الرسول بطرس قائلاً «لأن السموات كانت منذ القديم والأرض بكلمة اللّه قائمة من الماء وبالماء (٢بط ٣: ٥)، وكما خُلقت الخليقة الأولى بكلمة اللّه كذلك تُخلق الخليقة الجديدة بكلمة اللّه كما قال الرسول بطرس «مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة اللّه الحية الباقية إلى الأبد» (١بط ١: ٢٣)، والرب يسوع هو كلمة اللّه الذى كان من البدء وبه خُلق العالمين وبغيره لم يكن شيء مما كان

(يو ١:١ ـ ٣)؛ والخليقة الجديدة تخلق بكلمة الله كما قال يسوع «الحق الحق أقول لكم مَنْ يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى له حياة أبدية (يو ٥:٢٤).

لا تقدم بدون كلمة الله

لابد أن نتأكد من أهمية كلمة الله في كل خطة الخلاص ليس فقط للخلاص بل أيضاً للتقدم والنمو الروحى في النعمة وللانفصال والقداسة والانتصار. ربما نرنم أو نصلى ونشهد عن الرب لكن لا نستطيع النمو والحصول على الانتصار عندما نهمل دراسة كلمة الله، ولا نستطيع أن نعرف مشيئة الله بدون معرفتنا لكلمته. إن المآساة الكبرى في حياة المؤمن هى الجهل بالكتاب المقدس ونتيجة لذلك يحدث المرض والضعف وتعب الأعصاب والهزال والأنيميا، والغثيان نتيجة نقص التغذية على كلمة الله، فإذا كنت تريد التقدم في الحياة الروحية ومستعد لمجاوبة كل سؤال دعنى أسألك كم من الوقت تقضيه مع كلمة الله؟ أنا لا أسألك عن إيمانك وشهادتك وصلاتك لكن السؤال الأهم هو هل تعرف كلمة الله؟ هناك ضعف كثير عند المؤمنين لأنهم أهملوا قراءة كلمة الله ودراستها.

أقترح عليك أن تضع لنفسك برنامجاً لدراسة كلمة اللّه لأن معرفة كلمة اللّه هي أساس النمو الروحي للمؤمن ومفتاح النهضة الروحية التي نريدها. لقد قال الرسول بطرس «انموا في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح» (٢بط ٣:١٨) ومعرفة ربنا يسوع المسيح هي سر النمو الروحي والطريق الوحيد لمعرفة كلمة اللّه لذلك قال بولس «لأعرفه» (في ٣: ١٠).

الهدف الأخير

لقد بدأت الحياة بالنور وأخيراً خلق اللّه الإنسان على صورته، وهذا هو هدف اللّه الأخير للمؤمن أن يخلص وينمو ويثمر حتى يكون مشابهاً للّه. وصورة اللّه هو يسوع المسيح كما قال كاتب رسالة العبرانيين «الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته. بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي» (عب ١:٣).

يسوع المسيح هو صورة اللّه الكاملة، وخطة اللّه النهائية للخلاص أن يصبح كل مؤمن مشابهاً صورة ابنه يسوع، أي في صورة اللّه وكل شيء في خطة اللّه تم بدقة لتحقيق هذا الهدف العظيم الذي لا يمكن للعقل البشري أن يتصوره؛ وقد قال بولس

عن هذا العمل «... لكي نكون مشابهين صورة ابنه» (رو ٨:٢٨، ٢٩). إن غرض الله لكل مؤمن أن يصبح مشابهاً لصورة يسوع المسيح ابنه ويريد الله أن تمتلىء السموات بمؤمنين كثيرين مشابهين تماماً لصورة ابنه وأن تكون للآب شركة عظيمة بإخوة كثيرين مع يسوع المسيح الابن البكر، وتتجلى هذه الحقيقة في قول الرب «والذين دعاهم هؤلاء بررهم والذين بررهم هؤلاء مجدهم أيضاً» (رو ٨: ٣٠) ثم يأتي اليوم السابع يوم راحة الله المحب الذى سيستريح عندما أنا وأنت كمؤمنين نصل إلى صورة ابنه ونكون معه في الأبدية.

وفي ختام هذا الفصل تتساءل إذا كنت خلُصت بنعمة الله هل تذهب للخطوة الثانية وتنفصل عن الخطية والشيطان؟ هل تصل إلى اليوم الثالث فتحمل الثمار وتربح نفوساً للمسيح؟ ما هو موقفك من الشهادة عن المسيح؟ هل أنت منتصر وتحلق في الروحيات؟ سوف تكتمل الصورة عندما نصل إلى السماء ونكون على صورة المسيح. وينبغى أن نُخضع حياتنا لمشيئة الله لأن الله سيحضر كل واحد ليقف أمام كرسى المسيح لينال كل منا ما فعل بالجسد خيراً كان أم شراً» (٢كو ٥: ١٠). إذاً لتكن لنا حياة الاجتهاد والعمل الصالح بدلاً من أن نخلُص ولكن كما بنار!

الفصل الثامن عشر

ثلاث خطوات للمدنية

"وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله. فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة" (تك ٣:١).

أحقاً قال الله؟ هذا أول سؤال في الكتاب المقدس، وفي الأصحاح الثالث من سفر التكوين الذى يعتبر القلب النابض لكل الكتاب، ولا نندهش عندما نعرف أن المتكلم هو الشيطان المتجسد في صورة حيوان جميل من حيوانات الحقل التى خلقها الله. والشيطان هو الذى سأل أول سؤال ليدخل الشك والخداع في أذن وقلب الأم الأولى للبشرية، وكحيوان طبيعى له القدرة على الاتصال بالإنسان مستخدماً مواعيد الله وأقواله، وكلمة حية تعنى «الهامس أو الموشوش» وبهذا المعنى قدم الشيطان نفسه ليسأل حواء:

أحقاً قال الله؟

بعناية ودقة زرع الشيطان بذور الشر في فكر حواء فاحتقرت

وجود الله. وسألها الشيطان أحقاً قال الله لا تأكلا من **كل** شجر الجنة؟ يالحماقة هذا السؤال لأنه إن كان الله قد منعهما من الأكل من **كل** أشجار الجنة فكيف يعيش آدم وحواء؟ لأن طعام آدم وحواء كان نباتياً ولم يأكلا لحماً، وقد استخدم الشيطان هذه الوسيلة ليزرع بذرة الشك في صلاح الله ومحبته للإنسان، والأعجب من ذلك أن حواء أعطت الأمان للحية وبدأت تتكلم معها.

قد تعتقد أن إجابة حواء كانت إجابة منطقية لكن إجابتها كانت بداية للخطية. إن معظم الناس يعتقدون أن الخطية عمل ناتج عن تصرف وأن حواء أخطأت عندما أكلت من الشجرة التى نهاها الله عنها، لكن في الحقيقة أن حواء أخطأت قبل أن تأكل من الشجرة عندما اعتقدت أن الشيطان بديلٌ عن الله وهذا هو أصل الخطية، وأخذ الثمرة كان نتيجة طبيعية لعدم إيمانها بكلمة الرب. نحن نعتقد أن القتل خطية لكن الكتاب يقول مَنْ يبغض أخاه فهو قاتل نفس، ونعتقد أن الفجور والزنى خطية، لكن الرب يسوع قال «مَنْ نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه»، والسرقة أو النهب هى خطية حقيقية نتيجة الجشع والطمع، فالخطية إذاً في القلب الذى لا يؤمن بكلمة الله. هذه الحقيقة

يذكرها يعقوب في رسالته «ولكن كل واحد يُجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته والشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تنتج موتاً» (يع ١:١٤، ١٥).

الإنسان ليس مذنباً أو أثيماً بالخطية الجهرية وأعمال العنف لكن بميوله ودوافعه للخطية. الإنسان ينظر إلى الخطية الظاهرة والخطية الفعلية، لكن اللّه ينظر إلى القلب، ووضح الرب يسوع ذلك عندما قال «ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان.. وأما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر وذاك ينجس الإنسان، لأن من القلب تخرج أفكار شريرة قتل زنى فسق سرقة شهادة زور تجديف. هذه هى التى تنجس الإنسان» (مت ١٥:١١ ، ١٨ ـ ٢٠). إن الإنسان يفتخر بصلاحه وبره الذاتى أمام الناس لكنه بعيد عن الصلاح والحياة النقية، ويخدع نفسه بأنه ليس خاطئاً ولا في حاجة إلى المخلّص، وعندما ننظر إلى الخطية بمنظور اللّه نرى أن الخطية هى في القلب، ونتذكر قول بولس «الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد اللّه» (رو ٣:٢٣) وقال الكتاب أيضاً «ليس بار ليس ولا واحد»؛ ولا يوجد إنسان نموذجى لأن الكل أمام اللّه خطاة تحت الدينونة يحتاجون إلى الفداء والخلاص والتطهير بدم المسيح.

حواء مثال لكل خاطىء

لقد أخطأت حواء في الجنة لأنها شكت في كلمة الله وسمعت لأقوال الشيطان، وكل ما جاء بعد ذلك يسير في الطريق الطبيعي. كان الشك هو الخطية الأولى لحواء وجاءت الخطية الثانية وهي الكذب. لقد كذبت حواء ولم تقل الحقيقة التي قالها الله. فقبل أن تكون حواء جاهلة كانت كاذبة وقبل أن تكون كاذبة كانت غير مؤمنة، ولا تفزع من هذا لأن الكتاب المقدس يقول الصدق دائماً. أما حواء فاعتبرت أن أقوال الله غير حقيقية ولم تقل حواء أقوال الله بالضبط وقارن ما قاله الله مع ما قالته حواء. فقد قال الله «من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت» (تك ٢:١٦، ١٧). أما حواء فقالت للحية إن الله قال «لا تأكلا منها ولا تمساها لئلا تموتا» لكن الله قال «موتاً تموت». فأقوال الله الأولى جملة مؤكدة، أما أقوال حواء في الجملة الثانية فهي جملة احتمال وليست مؤكدة. إن حواء أخطأت في تحديد أقوال الله وكذبت بأقوال لم ينطق بها الله البتة لأن الله قال مؤكداً أما الشيطان فكان مشككاً.

وإذا فحصنا ما قالته حواء نجد أنها أخطأت ثلاثة أخطاء، ولنلاحظ كل خطأ من هذه الأخطاء الثلاثة:

أولاً أضافت حواء إلى أقوال الله حيث قالت «لا تمساها»، لقد حدد الله نظام الأكل ولم يتكلم أبداً عن مس الشجرة وتداخلت أقوال حواء مع أقوال الله.

الخطأ الثاني، أضافت حواء كلاماً إلى أقوال الله وغيرت الجملة المؤكدة إلى جملة محتملة بقولها «لئلا تموتا» وهذه الجملة عارية من الصحة لأن الله قال مؤكداً «موتاً تموت».

وأخيراً، أهملت حواء صحة وحقيقة أقوال الله ولم تهتم بالقول الصحيح «موتاً تموت».

بهذه الأخطاء الثلاثة كان من السهل على حواء أن تنظر إلى الشجرة وتشتهيها وتأكل منها، وتعطى زوجها ليأكل ويسقطا في الخطية ويطردا من الجنة بعد أن حكم عليهما الله بالموت.

حواء شخصية حضارية جداً

بالخطوات الثلاث السابقة سلكت حواء في حضارة القرن الحالي كباقي الناس، فقد بدأ الإلحاد بنفس الطريقة التى حدثت

في الجنة: فالخطوة الأولى للإلحاد والانحدار أن نضيف شيئاً إلى أقوال اللّه، ثم الكذب ثم تظهر التعاليم الكاذبة والتفسيرات الخاصة لكلمة اللّه، وأن إضافة أقوال بشرية إلى أقوال اللّه يؤدى إلى الاختلافات الواسعة والمتباينة بين المذاهب المختلفة، والتعاليم الغريبة التى لا تتفق مع تعليم الكتاب المقدس، ولذلك ظهرت التعاليم عن البراءات وصكوك الغفران وتقديس يوم السبت بدلاً من الأحد، ومعتقدات الأدفنتست وشهود يهوه والمورمون الذين أضافوا للكتاب المقدس كل اللوح والصور الذهبية الوهمية لجوزيف سميث، وتعليم مارى باكر التى أضافت للكتاب المقدس ما يسمى بمفاتيح الأسفار المقدسة والتى لم يسمح بها اللّه. إن اللحظة التى تنحرف فيها كنائسنا عن التعاليم الكتابية وتتجه نحو المدنية والحضارة هى لحظة الانحدار الأولى. إن كثيرين أدخلوا تعاليم غريبة على الكتاب، ولكن سيبقى سلطان الكتاب المقدس وسيادته فوق كل تعليم غريب لأنه هو أساس الإيمان والحياة العملية، وعندما نضيف إليه أقوالاً إنسانية سوف نرى أنفسنا في الحالة البدائية لحواء وتنزلق أرجلنا في الخطوة الأولى للخطية.

الخطوة الثانية

عند إضافة أي أقوال إلى كلمة الله ومع مرور الوقت سنجد أن آيات الكتاب المقدس تكون غير متجانسة، لأن الإنسان يحذف من كلمة الله كل ما هو غير مناسب له ويبكته علي خطاياه، والإنسان دائماً يطلب الطريق السهل لكي يخضع لكلمة الله ويحاول أن يكون الكتاب المقدس خاضعاً لإرادة الإنسان وتفسيره، ولكن يجب أن نعلم أن محتويات الكتاب المقدس هي محتويات روحية وقوة الكتاب تؤكد وتبرهن علي صحته ولا تحتاج إلى إضافة أو حذف.

الخطوة الثالثة

إذا تركنا الكتاب المقدس لإرادة البشر يضيفون أو يحذفون كما يريدون، فإن آجلاً أم عاجلاً سوف نجد أجزاء من الكتاب المقدس لا تتطابق مع الإيمان، فالبعض يلجأ إلى حذف مقاطع من الوصايا العشر لأن الإنسان الطبيعي لا يستطيع تطبيقها والعمل بها، وكذلك حذف مقاطع وجمل من عظة المسيح على الجبل وحذف جزء من الصلاة الربانية التي علمها المسيح لتلاميذه، وكذلك حذف مقاطع من الأسفار الشعرية الجميلة والمحبوبة.

وتهاجمنا المدنية كما هاجمت حواء في جنة عدن وانخدعت حواء وسمعت الحية تقول «لا تموتا» (تك ٣:٤) ولكن الله أكد «موتاً تموت»؛ ونفى الشيطان هذا التأكيد وأفرزت الحية سمها في فكر حواء واختلط هذا السم بعسل معرفة الله، وفي الحال أضافت الحية «بل الله عالم أن يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر» (تك ٣ : ٥).

ياللمهارة! فقد همست الحية في أذن حواء قائلة «إن الله حجب عنكما شيئاً عجيباً ولا يريد الله أن تكونا عارفين الخير والشر» وخيّم العمى على فكر حواء، واقتنعت أن المعرفة ستأتى عند الأكل من الشجرة وأن الله لم يكن أميناً وصادقاً معهما ومنع عنهما المعرفة، وآمنت حواء بأن هذه الحية أكدت لها بكلماتها الناعمة وصوتها الجميل أن النهاية ليست سيئة كما قال الله.

اصغ يا عزيزى، إن تكتيكات الشيطان لم تتغير، وطرق الشيطان هى هى كما كانت منذ أيام حواء، والشيطان لا يدخر فرصة حتى يصل إلينا ويحاول إغراء الملايين ويخدعهم ليسقطوا في الخطية نتيجة تأثيره على حياتهم. وأريد أن أحذرك منه لأنه

مراوغ عظيم، ولقد قال الله «النفس التى تخطىء هى تموت» وإن أجرة الخطية هى موت، وسوف تفقد أبديتك عندما تقضى هذه الأبدية في بحيرة النار وفي ظلام أبدى وتنفصل عن الله ومحبته إلى الأبد. ونفس الخداع القديم مازال موجوداً اليوم، فالشيطان يقول «لا تؤمن، لا يوجد ضرر، الله لا يعاقب الخليقة بالجحيم الأبدى، لن تموت، لا تنزعج أنت لست خاطئاً كما يقول الكتاب المقدس» اصغ إلىّ يا صديقى، إنه الشيطان القديم الكاذب الذى كذب وخدع حواء في جنة عدن، لكن كلمة الله صادقة تقف ضد أكاذيب الشيطان وتقول الحق لأن الشيطان من البدء كذاب، فلا تخضع لأكاذيب الشيطان كما خضعت حواء وعندما أرادت تصحيح الأوضاع كان الوقت متأخراً. أتوسل إليك لتقرأ نهاية هذا الفصل حتى لا تخطىء مثل حواء.

منذ فترة كنت أتحاور مع إنسان خاطىء فقال لى «أنا لا أؤمن بما تقول ولا بأقوال الكتاب المقدس التى تقول إذا رفضت المسيح يسوع سوف أذهب إلى جهنم النار الأبدية، آمن أنت بالكتاب أما أنا فلست في حاجة للمسيح لأن أفكارى وأعمالى صالحة»، ولكنى قلت لهذا الإنسان «ما تقوله ليس صائباً

والنهاية الأبدية ليست بالإحسانات البشرية، افترض أنك على حق ولا توجد حياة بعد الموت ولا مستقبل أبدياً فأنا لم أخسر شيئاً عندما آمنت بالمسيح وإن كانت الأبدية حقيقية فأنا أكون على صواب عندما أذهب إليها، ولكن عندما لا تؤمن فسوف تذهب إلى الجحيم وستكون قد خسرت كل شيء لأنك رفضت الإيمان وعندما تستيقظ في الأبدية تكون فرصتك قد ضاعت لأنك أهملت أقوال الله التى تقول «الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله. أما الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية. وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون الحق بل يطاوعون للإثم فسخط وغضب شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر (رو ٢:٦ ـ ٩).

الفصل التاسع عشر

أوراق التين

"فنظرت المرأة ورأت الشجرة جيدة للأكل وبهجة للعيون وشهية للنظر... فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر" (تك ٣: ٦، ٧).

في العدد الثالث من الفصل الثالث من التكوين نجد حواء استخدمت ثلاثة أشياء محددة، فنظرت إلى ثمر الشجرة، رأت أنها جيدة للأكل وبهجة للعيون وأخيراً شهية للنظر (أو صالحة للحكمة) وهذه الأشياء هي طعام ونظر وحكمة، ولجأ المجرب لمهاجمة حواء في الجسد والنفس والروح.

ولأن الله واحد مثلث الأقانيم الآب والابن والروح القدس، خلق الإنسان على صورته ليكون الإنسان ثلاثة في واحدة جسد ونفس وروح، وهذه الحقيقة ذكرها الكتاب بقوله « وصنع الرب الإله آدم من تراب الأرض (الجسد) ونفخ في أنفه نسمة حياة (الروح) فصار آدم نفساً حية (النفس) » (تك ٢: ٧). وعندما

سقط الإنسان فقد هذه الصورة ومات روحياً وجسدياً وأبدياً، وكل عنصر من مكونات الإنسان له شخصية مستقلة وعمل مستقل، فالجسد هو قاعدة الشهوة والرغبة، والنفس هي قاعدة وأساس للعواطف والعبادة، والروح قادر على معرفة اللّه وهو أساس الحكمة الروحية لمعرفة الخالق. هذه المكونات الثلاثة ليست عند الحيوان لأن الحيوانات لها جسد ونفس فقط وليس لها روح لتعرف خالقها.

التجربة الثلاثية

جرب الشيطان حواء في طبيعتها الجسد والنفس والروح، فالتجربة الجسدية كانت من خلال قناة الشهوة حيث رأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وهذه التجربة الأولى كانت في الجانب الطبيعي لحواء ورغبتها في الطعام. والتجربة الثانية كانت ضد النفس حيث رأت حواء أن الشجرة بهجة للعيون والنفس هي قاعدة العواطف مثل المحبة والبغضة والفرح والسعادة والحزن؛ والقناة الطبيعية للنفس هي العين، وبينما تكون معظم التجارب الجسدية ناتجة من الجسد فإن التجارب النفسية تأتي من خلال العين. قال أحدهم «إن العين هي حكمة النفس». أما التجربة

الثالثة فكانت ضد روح الإنسان فقد رأت حواء أن الشجرة شهية للنظر وهي تعني أنها تصنع الإنسان حكيماً. وهذه التجارب الثلاث موجهة للمؤمن المخلوق في المسيح خليقة جديدة، فهو في صراع مع الجسد والعالم والشيطان، كما قال يوحنا «لأن كل ما في العالم شهوة الجسد، وشهوة العيون وتعظم المعيشة «ليس من الآب بل من العالم» (١يو ٢:١٦).

إن الإنسان لم يمرض بالخطية، لكنه مات وأصبح تحت لعنة الخطية. وكما خدعت الحية حواء أراد الشيطان أن يخدع الرب يسوع في البرية ليجربه، وواجه يسوع نفس التجارب الثلاث ولكنه كآدم الأخير بلا خطية ولم يسقط يسوع في واحدة من التجارب الثلاث وتحدى يسوع المجرب وكان يسوع تحت ظروف قاسية في البرية ومع الوحوش، بينما سقط آدم الأول في الخطة رغم أنه كان في جنة عدن مع الحيوانات الأليفة، ولم يكن ادم ضعيفاً بسبب الجوع كما كان الرب يسوع بعد أن صام أربعين يوماً، لكن سقط آدم وانتصر يسوع على المجرب وتجاربه.

تجربة الجسد

كانت التجربة الأولى ليسوع مشابهة لتجربة حواء الموجهة

إلى الشهوة وقال الشيطان للرب إذا كنت ابن الله فقل لهذه الحجارة أن تصير خبزاً» (لو ٤:٣) ومن خلال العين جاءت التجربة الثانية حيث أراه الشيطان كل ممالك العالم (لو ٤:٥ ـ ٧)، ثم جاءت التجربة الثالثة وهى تجربة تعظم المعيشة «فأحضره الشيطان إلى أورشليم وأجلسه على جناح الهيكل...» (لو ٤:٩، ١٠) وهذه التجربة كانت موجهة إلى الحكمة والتى قيل عنها شهية للنظر، أو رغبة الإنسان أن يكون حكيماً، أنا أؤمن من كل قلبى أن الانتصار بيسوع المسيح أقوى من كل محاولات الشيطان، وبدلاً من الشك في كلمة الله، افعل كما فعل يسوع وقل للشيطان «مكتوب». وذكر البشير لوقا أربعة أسباب لانتصار يسوع على الشيطان حيث كان يسوع

١ ـ مطيعاً ٢ ـ مصلياً ٣ ـ ممتلئاً من الروح القدس
٤ ـ واجه كل تجربة بكلمة الله

لقد صار يسوع نموذجاً حياً لحياتنا الروحية المنتصرة ولكى تواجه تجارب الشيطان بنفس المسلك الذى سلكه الرب يسوع.

عودة إلى حواء

الآن نرجع إلى القصة في (تك ٣) لنقرأ عن النتيجة القاسية

لعدم طاعة حواء فسقطت في الخطية كما يقول الكتاب «انفتحت أعينهما وعرفا أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وعملا لأنفسهما مآزر» (تك ٣:٧).

انفتحت أعينهما للخطية وأغلقت عن القداسة وأصبحا عريانين أمام اللّٰه ونسيا أن اللّٰه كان صديقاً لهما وقد أغلقت أعينهما عن هذه الحقيقة فهربا من اللّٰه واختفيا في الجنة وطلبا أن يغطيا أجسادهما بعمل أيديهما، فقبل السقوط في الخطية كانا يلبسان غطاء كاملاً ومقدساً وخالٍ من الخطية، وفجأة وجدا أنفسهما بدون غطاء وصارا عريانين نتيجة للخطية.

عرف الإنسان أنه أخطأ ولكنه لم يعرف طريق الفداء، وتغير فهمه عن اللّٰه وعن محبته رغم أن اللّٰه هو الوحيد الذى يملك الفداء، لكن الإنسان اختفى عن اللّٰه والتمس الأعذار، وكذب وأصبح خاطئاً جاهلاً وأنه قادر أن يعمل لنفسه وسيلة لعلاج خطيته، ويعمل بيديه ثياباً للقداسة ليظهر أمام اللّٰه. إن الخطية لا تحتاج إلى غطاء لكن الخطية تحتاج إلي كفارة، لأن الخطية في القلب ولا يمكن لأوراق التين أن تغطى الداخل ولا تمنع دينونة الموت.

أوراق التين

أوراق التين تشير إلى أمور كثيرة في كلمة الله فقد كانت تشير إلى الأمة اليهودية التى كانت تحمل أوراقاً فقط وليس فيها ثمر، لأن الشعب القديم اتكل على البر الذاتى والأعمال الحسنة لخلاصهم بدلاً من الاتكال على بر الإله الواحد، ويقول بولس عنهم «إذ كانوا يجهلون بر اللّه ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم لم يخضعوا لبر اللّه» (رو ١٠:٣).

كما أن أوراق التين تشير إلى مجهودات الإنسان، ويُظهر بر نفسه أمام اللّه مختفياً في أوراق التين، وكل مجهود الإنسان بدون دم المسيح يكون رجساً ومكروهاً أمام اللّه.

إن العقيدة والأخلاق وتصنُّع العفة لا تخلص الإنسان، كما أن الأعمال الحسنة وعمل المحبة والإصلاح، والتعليم والشريعة والدستور لا يمكن أن تظهر بر اللّه بل هى جميعها أوراق تين، وقد أعطى اللّه درساً لآدم عندما وضع له ذبيحة بديلة في جنة عدن (تك ٣:٢١) ليكسى عريه بدلاً من أوراق التين البالية.

يوجد علاج واحد للخطية وهو دم المسيح، فالأعمال الحسنة

ليست كافية للخلاص، والذهاب للكنيسة والصلوات وقراءة الكتاب المقدس كل يوم بدون قبولك شخصياً للرب يسوع المخلّص هذه كلها أوراق تين. ويقول آخر أنا أحاول أن أعيش حسناً وعفيفاً وأطبق ناموس الحياة وأميز بين الحسن والسيء ويضع قائمة بالأعمال الحسنة التي يظن أنه على أساسها سيذهب إلى السماء، لكن بدون خلاص المسيح فكل أعمالك هي أوراق تين، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما، وكما يقول بولس «ليس بأعمال في بر عملناها بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني»، وقد قال يسوع «ينبغي أن تولد من فوق» لا تقف مختفياً خلف أوراق التين، بل دع الله يصنع لك ثياب الخلاص بدم المسيح.

«آمن بالرب يسوع المسيح فتخلُص...» (أع ١٦:٣١).

الفصل العشرون

الشعور العالمى

"فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر" (تك ٣:٦، ٧).

الخيـاطة هى المهنة الأولى التى اختـارها الإنسـان لنفسـه لأن الله أمر آدم أن يكون بستـانيـاً يعـمل ويحرس جنة عدن، وعندما دخلت الخطيـة عـمل الإنسـان خيـاطاً ليـسـتـر نفسـه. أمـا الزراعـة فكانت مهنة قـايين، والمهنة الثـالثـة هى مهنة الرعى وكـانت مهنة هابيل، وهذه المهن الثلاث كانت المهن الأساسيـة للإنسان الأول. والسبب في مهنة الخيـاطة هي حاجة جسم الإنسـان للدفء، ومهنة الزراعـة لاحـتـيـاج الإنسـان للطعـام. وإنسـان اليـوم له نفس احتـيـاجات الإنسان الأول لأنهـا احتـيـاجات ضرورية وأساسيـة للحياة الطبيعية. ولكن للأسف أن اللذين اخترعا مهنة الخياطة هما الزوجان المخلوقان على صورة الله، وقد اختبأا خلف الأشجار في جنة عدن وأصبحا يحيكا أوراق التين ويصنعا مآزر ليخفيا

خجل سقوطهما في الخطية. ولأن الخطية دخلت إلى كل نسل آدم، فإن هذا النسل عمل مثل الآباء ليختفوا من وجه اللّه ولكنهم سقطوا في عار الخطية مثل آدم، ولنا دروس كثيرة نتعلمها من الزوجين الأولين عندما صنعا لأنفسهما مآزر من أوراق التين.

الإنسان يعرف أنه عار

الخطية أعطت للإنسان ضميراً ليعرف الخير والشر، فقبل السقوط لم يعرف الإنسان الخطأ ولا الخطية. وعندما سقط انفتحت عيناه وعرف الإثم الذى لم يكن يعرفه قبل السقوط، وضمير الإثم دخل إلى الإنسان عندما أكل من شجرة معرفة الخير والشر، وكثيرون يطلقون على تلك الشجرة «شجرة الضمير». وهذا الضمير في كل الناس وفي كل الأعمار حتى في أولئك الذين لا يعرفون الإنجيل ولم يسمعوا رسالة اللّه عن الخطية والخلاص من القطب الشمالى المتجمد حتى القطب الجنوبى وحول خط الاستواء. وفي البلاد الوثنية يكون هذا الضمير بصورة عامة لأن الشعب أو القبيلة التى لا تعرف الدين أو العقيدة وليس لها كتب دينية وعقائد تعمل جاهدة لكى ترضى الآلهة وتكرر ما فعله آدم بأوراق التين.

هذه المعرفة كانت أيضاً عند البرابرة والأمم عابدي الأوثان وعند معظم المستنيرين والمثقفين والفلاسفة وبين الحضارات المختلفة بين شعوب الأرض، والبعض يعبد الأصنام ويقدمون ذبائح للآلهة ويعيشون في المجون والخلاعة. ونتيجة سقوط الإنسان، كرر الناس صنع مآزر من أوراق التين مثل وسائل الدعاية والإعلام ووسائل الاتصالات لإخماد الجريمة وتقليل انحراف الصبية والأطفال والتجمهر والمجهودات العقائدية التى تعلم الإنسان الطهارة والأخلاقيات والأدب؛ وهذه أدلة حقيقية تبرهن أن الإنسان يعرف الأخطاء ويبذل مجهودات كثيرة لتجنب هذه الأخطاء ومسبباتها.

نحن لا نعترض على أية هيئة أو وكالة تعمل على وقف الجريمة والانتحار وتعالج الإدمان وإنقاذ الشباب وتقويم سلوكهم وحل مشاكل الطلاق، ونحن نشفق ونتعاطف مع كل هذه الجهود المضنية، لكن يجب أن يكون حل هذه المشاكل عن طريق معرفة الله والكتاب المقدس لأن أصل كل مشكلة يكمن في قلب الإنسان، وكل هذه المجهودات عبارة عن أوراق تين تغطى جسد الإنسان بدون تغيير قلبه. إن الحاجة إلى تغيير القلب بدم المسيح

وبدونه فإن كل المجهودات البشرية هى مسكنات للخطية الساكنة في الإنسان، لأن كل البشر خطاة وفي حاجة إلى الولادة الجديدة لكي يصيروا خليقة جديدة، والخاطىء يمكن أن يكون معلماً للخطاة ولكنه سيظل خاطئاً؛ والمتدين يمكن أن يعلم الخطاة ولكنه يشارك الخطاة في خطاياهم. والثقافة تجعل الخطاة مثقفين وتهذيب الخطاة ينتج خطاة مهذبين وامتلاء العالم بالمجهودات الإنسانية والعقائد والثقافات وسيصبح الخطاة لامعين ومصقولين لكن اللّه يقول «ينبغي أن تولد من فوق» لأن القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس، لذلك فإن كل هذه المجهودات بدون علاج اللّه، فسوف يبقى الإنسان خاطئاً ومحتاجاً إلى قلب جديد بالإيمان بيسوع المسيح.

إذا أردت أن تساعد المجتمع دع الناس يخلصون. إن أعظم طريقة يمكن أن تساعد بها الشرطة، قدم المسيح للخطاة فيخلصون. إن الخلاص هو أعظم طريقة لحل مشكلة الفساد الأخلاقي وانحراف الشباب. إن إحصائية جهاز المخابرات الأمريكية وتقارير المحاكم تقول إن معظم جرائم كسر البيوت والسرقة ناتجة من شباب يحضرون الكنيسة ومدارس الأحد

ولكنهم غير مخلصين، وإذا أردت أن توقف هذه الجرائم وتحد من الإدمان، فساعد هؤلاء على الخلاص واعمل في كل وقت لأجل خلاص النفوس. تكلم معهم بكلمة الله خاصة إلى رواد الصالونات والمحلات حتى تربح نفوساً للمسيح. آه عزيزى هل أدركت أن كل علاج بدون دم المسيح هو علاج كاذب وأن كل المجهودات البشرية والحلول الوقتية هى أوراق تين غير نافعة ولكن المهم تغيير القلب ليصبح قلباً جديداً؟

لا توجد طريقة للاختفاء من الله

عندما نعود إلى الأصحاح الثالث من التكوين نرى أن آدم وحواء صارا عريانين بسبب الخطية وفقدا العلاقة والشركة مع الله وصارا خائفين من الإله الواحد القادر على مساعدتهما، ورفضا الاعتراف للرب بالخطية وأرادا ستر عريهما بالمجهودات الذاتية، لأن الإنسان الطبيعى لا يعترف بخطئه ولا يطلب مساعدة الله، ولا يرى الخاطىء الأعمى يد الله التى تتحرك لمساعدته لذلك سيذهب إلى جحيم أبدي. وعندما اختفى آدم ورفض أن يطلب الله جاء الله ليطلب آدم الخاطىء ويعلن له أن الخلاص من الرب بالإيمان بكلمة الرب. والتجاوب مع تبكيت الروح القدس الذى

يكشف للخاطيء خطاياه فيصرخ إلى اللّه طالباً الخلاص والرحمة. لكن إذا لم يستمع الخاطيء إلى تبكيت الروح القدس ويعترف بأنه تعدى على وصايا اللّه ولم يصرخ إليه، يموت الخاطيء في خطيته ويذهب للدينونة الأبدية. لذا على الخاطيء أن يستمع للروح القدس ويطلب خلاص اللّه بيسوع المسيح الذى أرسله اللّه ليخلص العالم من خطاياه.

اللّه يطلب الخاطيء

استمع إلى الكلمات المدونة في هذا الفصل العجيب «وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار... فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت، فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت (تك ٣:٨ ـ ١٠). بدأ آدم يقدم الأعذار عندما قال له الرب «مَنْ أعلمك أنك عريان، وألقى آدم باللوم على حواء وألقت حواء باللوم على الحية، ولكن هذه الأعذار واهية وغير حقيقية وغير مفيدة لأن الأعذار لا تعيد الإنسان إلى قداسته الأولى، والحل ليس في الاختفاء وراء الأشجار ولا في أوراق التين بل الحل الأكيد هو في دم الحمل الذى ذبحه اللّه كما في (تك ٣:٢١) وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما».

يا عــزيزى لماذا لا تدع اللّه يخلصك الآن؟ أنت الآن تســمع صوت اللّه يقـول لك أنت خـاطىء، أين أنت؟ اخـرج من مـخبـئك ودعنـى أخلصك، ولا تعـمل مـثل آدم وتخـتـبىء خلف مـآزر من أوراق التين وتلتــمس الأعـذار. ربما يقـول قـائل «أنا لا أفـهم الكتـاب المقدس» حسناً، أنت لا تحتـاج إلى فـهم الكتـاب المقدس لأن اللّه لا يطلب ذلك لكنـه يطلب إيمانك بالمخلّص وتقــبل الخلاص. العذر بأنك لا تفهم الكتاب المقدس هو تماماً أوراق تين. وآخـر يقــول نعم أنا أريد أن أخلص لكن لا أشـعـر بحـاجـتى للخلاص، هذه أيضاً أوراق تين لأن اللّه لا يريدك أن تشعر بل أن تؤمن وتتـوب ولا تعـتمد على شعورك لأن الشعور يتغـير مرات كثـيرة في اليـوم الواحد، الشعـور يعـتمد على الظروف والأحوال ويتغير دائماً لكن وعد اللّه لا يتغير. لا تصدق مشاعرك لكن ثق في اللّه وفي كلمته وعندما تقبل الرب يسوع سوف تحصل على الشــعـور الحـسن ولا تنـتظر هذا الشــعــور قـبل أن تخلُص لأن الاعتماد على الشعور هو أوراق تين.

شخص آخر يقول أنا لست سيئاً فأنا أفعل الصلاح، وفيما بعد سوف أجد فرصتى للخلاص، حسناً ولكن صلاحك هو أوراق

تين وأعمال الإنسان ليست كاملة أمام الله لأن ليس مَنْ يعمل صلاحاً ليس ولا واحد. وأنت لا تنتظر حتى تتحسن صحتك لتذهب للطبيب ولكنك تذهب للطبيب وأنت مريض وقبل أن تتحسن صحتك والرب يسوع يقول «جئت لا لأدعو أبراراً بل خطاة للتوبة» ولأنك لست صالحاً تماماً يجب أن تأتى ليسوع لتنال الخلاص. ربما يوجد آخر يقول إن السبب في عدم إيمانى وجود كثيرين منافقين في الكنيسة ولكن هذه أوراق تين يا عزيزى لأنك لا تستطيع الحكم على المؤمنين قبل الذهاب إلى الكنيسة، لذا أطلب منك أن تأتى إلى الرب يسوع لتخلص وتنضم وتتحد بجسد المسيح الذى هو الكنيسة وتنمو في كنيسة يقودك الرب إليها، ثم تستطيع أن تحكم فيما بعد. تذكر أنك إذا رفضت خلاص المسيح سوف تذهب إلى نفس مكان المنافقين، وإذا كنت تكره المنافقين فمن الأفضل الابتعاد عنهم واقبل المسيح مخلّصاً لك.

عشرات من الأعذار يقدمها الإنسان الخاطىء وكل هذه الأعذار لا تزيد عن كونها أوراق تين لا تستتر خجل الخطية، وعلى الخاطىء أن يواجه الحقيقة ويعترف بحاجته إلى المخلّص

ويؤمن بكلمة الله فيخلص. انزع عنك كل الثياب المستعارة والأعذار الواهية واقبل الله لنفسك وهذا هو العلاج الأكيد، والتوبة أمام الله والإيمان بيسوع المسيح وتصديق كلمته التى تقول «ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص ولم تثقل أذنه عن أن تسمع بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا أسمع (إش ٥٩:١، ٢). لقد أراد الشعب القديم أن يكتسى ببره الذاتى وأعماله الحسنة لكن الله قال لهم «خيوطهم لا تصير ثوباً ولا يكتسون بأعمالهم. أعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم في أيديهم» (إش ٥٩:٢٦). هذه الأنسجة لا تفيد الإنسان أمام الله لذلك اترك أوراق التين وتعال إلى المسيح الآن واطلب لنفسك الخلاص وآمن بالرب يسوع فتخلُص» (أع ١٦:٣١).

الفصل الحادى والعشرون

وسيلتــان فقط

"فانفتحت أعينهما ...." (تك ٣:٧)

"فصنع الرب لآدم وامرأته أقمصة من جلد..." (تك ٣:٢١)

"ودم يسوع المسيح ابنه يُطهرنا من كُل خطية" (١يو ١:٧)

أوراق التين في الكتاب المقدس برهان أكيد على عجز الإنسان لخلاص نفسه، ومن الجهة الأخرى تظهر خطة الله لخلاص الخاطىء، لذلك توجد وسيلتان فقط في عالم اليوم هما المجهودات البشرية الذاتية والوسيلة الأخرى هى الإيمان بخلاص الله؛ فإما أن يجتهد الإنسان لخلاص نفسه وإما أن يشعر الإنسان بحاجته إلى كفارة عن خطاياه ولا يقع تحت مراوغة وخداع الخطية ويفقد شعوره الحسى بالدينونة، وبدلاً من أن يذهب حالاً إلى الله الوحيد الذى يمكن أن يساعده هرب آدم من الله وأخفى نفسه عن المخلّص وأخاط أوراق التين لكساء نفسه.

مجهودات الإنسان الشخصية غير مثمرة

أوراق التين لم تقدم شيئاً لآدم وكانت وسيلة وقتية مؤقتة وتركت آدم خاطئاً أثيماً كما كان من قبل وبعدما واجه اللّه آدم وحواء وأعلن لهما خطيتهما ولُعنت كل الخليقة، بدأ اللّه يعلن خطته لفداء وخلاص الإنسان في (تك ٣ : ٢١)، وإن كان هذا العدد مختصراً لكنه إعلان مهم من إعلانات وحي الكتاب المقدس «وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد (واللّه) كساهما» (تك ٣ : ٢١).

مجهودات آدم كانت من صنع يديه وكانت مؤقتة، أما علاج اللّه فكان تاماً وكاملاً. مجهودات آدم كانت بدون موت عن الخطية لكن خطة اللّه ظهرت في البديل حيث ذبح حيواناً ومات قبل أن يؤخذ الجلد لكساء آدم وحواء. أخيراً مجهودات آدم كانت بلا دم لكن في خطة اللّه ظهر الموت وغطاء الدم لذبيحة بريئة وخطة اللّه للخلاص تتلخص في نقاط ثلاث:

١ ـ الخلاص هو عمل اللّه.

٢ ـ الخلاص بواسطة موت البديل.

٣ ـ الخلاص يجب أن يكون بغطاء الدم.

اللّه القدير يعرف أنه لا توجد خطة أخرى للخلاص ولا بديل عن هذه الخطة لفداء وخلاص الإنسان من خطيته. هذا هو الأساس المعلن في بداية سفر التكوين حتى نهاية سفر الرؤيا، ولا يتغير هذا الأساس لأنه نظام اللّه الثابت من ذلك اليوم إلى هذا اليوم وإلى الأبد، ولا تغيير ولا تبديل عن الخطة الإلهية. ومن هذه النقطة تبدأ كل نبوات الكتاب المقدس لتعلن أن خلاص اللّه بالنعمة وليس بأوراق التين أو مجهودات الإنسان الذاتية وأن أعمال الإنسان الصالحة لا تستطيع أن تخلصه.

لذلك نكرر أن كل المعتقدات إما مبنية على أوراق التين أو النعمة، عمل الإنسان أو عمل اللّه، بر الإنسان أو بر اللّه. إن الاعتقاد الذى يُعلم أن الإنسان يجب أن يعمل شيئاً كلياً أو جزئياً لخلاصه، يعتبر محاولة فاشلة أدت إلى سقوط آدم وحواء في الخطية. الخلاص هو من الرب وعندما نضيف شيئاً إلى هذه النعمة نقلل من قدرة النعمة على الخلاص ونفسد عملها تماماً. حيث يقول بولس «ليس من أعمال في بر عملناها بل بمقتضى رحمته خلصنا» (تى ٣:٥)، وفي الرسالة إلى أفسس يقول الكاتب «بالنعمة أنتم مخلصون... مخلوقين في المسيح يسوع»

(أف ٢: ٨ ـ ١٠) وفي الرسالة إلى رومية مكتوب «ليس من أعمال... بالإيمان حسب له براً» (رو ٤: ٥).

لقد أعلن اللّه خطته لفداء البشرية منذ ستة آلاف سنة وللأسف فإن الملايين من الناس لم تتعلم هذه الخطة حتى الآن، ولم يعرفوا أن الخلاص هو عطية مجانية بنعمة اللّه، والنعمة تبطل كل الأعمال كما يقول بولس «فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال وإلا فليست النعمة بعد نعمة. وإن كان بالأعمال فليس بالنعمة وإلا فالعمل لا يكون بعد عملاً (رو ١١: ٦). وهذا يختصره سفر التكوين بالقول «وصنع الرب الإله...» (تك ٣: ٢١).

أين آدم في كل هذه الخطة؟ لقد كان حاضراً عندما ذبح اللّه أحد الحيوانات وأخذ جلده وصنع منها أغطية لكساء آدم الخاطيء، وأعتقد أن آدم رأى الذبيحة الأولى وقد كانت صورة عظيمة لما حدث في الجلجثة. إن اللّه عمل كل شيء، اللّه ذبح الحيوان، اللّه تمم الخطة، اللّه غطى آدم بدم الذبيحة، اللّه أخذ الجلد المغموس بالدم، اللّه وضع الجلد على آدم وحواء. إنها صورة مجيدة للنعمة لتُظهر أن خطة اللّه كانت مختلفة تماماً عن عمل الإنسان لتبقى خطة اللّه هي الطريق الوحيد للخلاص.

بطاقة الفهرسة

الفهرسة أثناء النشر / إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية ـ إدارة الشئون الفنية

ديهـــان، د.

التكوين ونظرية التطور / تأليف د. ديهان؛ ترجمة ميشيل عوض . ـ القاهرة: لجنة خلاص النفوس للنشر، ٢٠٠٦

١٦٠ ص ، ١٧ سم.

تدمك ٥ ـ ٢١٤ ـ ٢١٠ ـ ٩٧٧

١ ـ الخلق ٢ ـ الإنسان ٣ ـ التأملات (المسيحية)

٢٧٣٫٣١

رقم الإيداع : ١٨٠٦٠ / ٢٠٠٦

ترقيم دولى 5 - 214 - 210 - 977

في هذا الكتاب

لم يتوقف الإنسان عن فضوله وبحثه عن العلم ومعرفة بداية الخليقة وأصل الكون، حتى ظهرت نظرية التطور في القرن التاسع عشر.

وأمام هذه الأكاذيب العلمية يقف الكتاب المقدس شامخاً يعلن أن الله الأزلى هو خالق الكون والإنسان، وهو الذى وضع خطة فداء الإنسان من الخطية بإرسال الرب يسوع إلى العالم ليعطى حياة أبدية لكل مَنْ يؤمن به.

إن هذا الكتاب يدحض بالأدلة والبراهين نظرية التطور ويؤكد على ضرورة قبول خطة الله لفداء البشرية بدم المسيح، وأن هذه الخطة ستبقى ثابتة إلى الأبد.

